السنة الرابعة والعشرون العدد ٨ آب ١٩٢٦

المشرق

الشواهد الصادقة في أفواه الملحدين والزنادقة

جمعها المرحوم الاب لويس رنزفال اليسوعيّ

توفي الاب لويس رنزفال في رومية في ٢ نيسان ١٩١٨ بعد ان خدم الناشئة السورية في كلية القديس يوسف والآداب العربية في المكتب الشرقي والمطبعة الكاثوليكية سنين طويلة وقد نشرنا لهُ في المشرق فصولاً رائقة في مواضيع شتى منها المنشية ومنها ادبية ولغوية وفنّية. وقد ترك بين الاوراق التي خلّفها عدّة كتابات تستحق ان تخرج من زوايا النسيان. وها نحن ننشر هنا مجموعةً لطيفة انتقاها من كتب الملحدين والزنادقة تشهد بحقائق الدين ولو بالرغم منهم

(قال) من اغرب الامور أنّنا نرى في المجموع البشري رجالاً يشيدون بيدٍ ما يسعون الى تدميرهِ بأخرى. يرفعون عقيرتهم بالتقريظ وتبجيل ما صبُّوا عليهِ سيول لعناتهم وشتائمهم. ذلك الدين وعقائدهُ الابديّة يستهزئون بهِ ساعةً ويرفعونهُ بعد حين الى أوج الافلاك. ينادون على رؤُوس الملإ بعدم صلاحيتهِ لشيء. لا بل بإضرارهِ للجثة ثمَّ يقرّون صاغرين بأن لولاهُ لا خير حقيقي ولا سعادة تحت القبة الزرقاء. يضربونهُ تارةً ويتملقونهُ أخرى. يطردونهُ ويلتجئون اليهِ. ينفرونهُ ويلوذون بهِ. فحياتهم سلسلةٌ غير منقطعة من التناقضات بين اقوالهم واعمالهم، وبين ظواهر إلحادهم وايمان بواطن اكبادهم، بين تآليفهم الملتبّة واحاديثهم الخفيّة

ومن ثمَّ ظننّا أنّنا لو جمعنا في بعض الصفحات اقرارات هؤلاء الملحدين عن عظم شأن الدين وعن حقائقهِ الراهنة لاسيّما الدين الكاثوليكي لأتينا عملاً مفيداً من شأنهِ ان يفحم المتشدّقين الذين يسومون الدين خسفاً فيلتقمون بأقوالهم الحجر اذ يأخذون

أَخذهم ويصوّبون سهامهم على اجلّ ما يزدان بهِ ابنُ الانسان في حياتهِ ويطمئن افكارهُ في ساعة مماتهِ

وليست هذه الاقرارات في مقام الدين الرفيع وخيورهِ الجمّة تمثّل بعض افراد الملحدين وانما هي لمعظم جماعتهم . فانك لا تكاد تسرّح النظر في تآليفهم حتى البالغين منهم الى اقصى حدود الكفر والزندقة الّا تشاهد بين اقوالهم ما ينقض مزاعمهم الباطلة ويشهد عليهم بالافك والكذب عند إرخائهم العنان لأهواء قلوبهم الفاسدة. وكذا قُلْ عن سيرتهم فكم رأينا من ابناء الارملة وزعماء الماسونية يخطبون الخطب المهيّجة على الدين وارباب ويرسلون اولادهم ليتربّوا في مدارس ذوي الكهنوت. يقبّحون اعمال الاكليروس وينظمون تماليهُ بين الخرافات واذا حضرتْ ساعة الموت لا يجدون اضاتهم راحة إلّا بالتجائهم الى نوّاب الله وكهنتهِ . فهذا لعمري احد ألغاز الحياة البشريّة والدليل الواضح على الجهاد بين الجسد والروح ، بين النفس الصالحة والنفس الأمّارة بالسوء ، بين الله وإبليس

وقد قسّمنا هذه الاقرارات فصولًا على حسب مضامينها ليسهل الرجوع اليها عند الضرورة وقد اخذناها من الملحدين الحديثين الذين عاشوا في الاعصار الاخيرة

١ الله تعالى ووجوده وصفاتهُ

من المعلوم انَّ الوثنيّين في القرون السالفة لم ينكروا وجود الله . وكانوا مع تعدُّد الآلهة يرون السلطة السامية لواحد منهم . حتى انَّ القديس بولس يوم دخولهِ اثينة وفي خطابه في محفل اريوس باغوس (اعمال ١٧ : ٢٣) ذكّرهم بهِ قائلًا انَّهُ هو الاله المجهول الذي نصبوا لهُ مذبحًا فيعبدوهُ . وروى لهم ما قالهُ عنهُ احد شعرائهم اليونان اراتوس القيليقي في القرن الثالث قبل المسيح اذ وصف الافلاك في احدى قصائده فقال عنهُ تعالى «انَّا نحن ذريّتهُ» (Τοῦ γὰρ καὶ γένος ἐσμέν) فاستنتج بولس من قول الشاعر انهم ما كانوا ليجهلوا انَّ وراء الآلهة الكاذبة المشرعة بايدي البشر إلهًا حقيقيًّا يفوق عليها فكانوا يكرمونهُ مع جهلهم لشخصهِ الكريم

والملحدون الحديثون ما كانوا على الرغم من تشدُّدهم ليُسكتوا صوت ضميرهم .

فهذا ڤولتير زعيمهم فانّهُ صرَّح في شعره بأنّهُ لا بُدَّ من اعتقاد وجود خالق المخلوقات، كما يجب نسبة الساعة الى الساعاتي فقال :

L'Univers m'embarrasse, et je ne puis songer
Que cette horloge existe et n'ait pas d'horloger.

وكان اذا رأى مأتم الملحدين يقول: «لو وقعتُ في ايديهم لأكلوني نيئاً» فيستنتج من ذلك ان وجود الخالق لا يُستطاع انكارهُ الى ان قال هذه الكلمة الغريبة: «ان كان الله غير موجود فيجب وضعهُ»

Si Dieu n'existait pas, il faudrait l'inventer !

ومن كبار الملحدين الدكتور كابانيس (Dr Cabanis) (١٧٥٧ـــ١٨٠٨) معاصر ڤولتير فانّهُ في السنة ١٧٩٨ اذ سمع الكاتب الشهير برناردان دي سان بيار يُعلن باعتقادهِ الديني في احدى قاعات مجمع العلوم الافرنسي قام وصرخ: «اني أقسم بأنّهُ لا وجود لله وأطلب ان يُضرَب عن ذكرهِ صفحاً في هذا النادي». فما مرَّ على هذا التجديف الفظيع بضع سنوات حتى وضع كابانيس رسالتهُ الشهيرة المدونة بالعلل الاولى (Lettre sur les Causes Premières) فقال: «يلتج من مراقبتنا لعالم الكائنات انّهُ يخطر لكل انسان فكرُ حكمةٍ وضعتْ صور المخلوقات وارادةٍ أخرجتها الى حيّز الوجود. وكلتا الحكمة والارادة في اقصى درجات الكمال لتُخرجا الكائنات في سائر دقائقها وتبسطا عليها سموَّ قدرتها لئلا يخلَّ نظامها العجيب في اي امرٍ كان». فكفى بهذا القول تكذيباً لانكار جميس السابق الجنوني

وممَّن سوَّدوا في فرنسة وجه الآداب في القرن التاسع عشر الشاعر الغنائي بيرنجار (Bérenger) بما اشاعهُ من الاغاني الكفرية [illegible] بالآداب فانَّ هذا الرجل اعلن قبل وفاتهِ امام كثيرين بايمانهِ في وجود الله [illegible]: «اني لم أحفظ بعادة المؤمنين بالله في كنيسة رعيتي إلّا أني أعلن باني حفظتُ في قلبي ولا ازال احفظ ايماني بالله والدين». وقد ذكر في بعض قصائدهِ الشكَّ بوجود الله فدعاهُ بالقبر الثاني بازاء حياة الايمان فقال عن لسان المسيح لمَّا خاطب يائيرَ قبل ان يقيم ابنتهُ من الموت:

Alors, Il dit :« Croyez: la Foi c'est l'autre vie
Qu'étouffe bien souvent le doute, autre tombeau ! »

ومثله برودهون (Proudhon) ذو الغلوّ في روح الكفر والثورة فانّهُ ناقض نفسهُ بنفسهِ حيث قال: «انّهُ لمن الامور المنافية للعقل أن يُنسب تجهيز العالم الى سُنن الطبيعة دون مراعاة الأنا المدبّر (le Moi ordonnateur اي مدبّرها العلوي) فذلك بمثابة نسبة انتصارنا في مارنغو الى حركات عسكريّة دون تدبيرها السابق في رأس القنصل الاعلى (اي نابوليون)»

وكلٌّ يعرف ما كان للكاتبَين ميشله وكوينه (Michelet et Edgar Quinet) من سوء التأثير في عقول الناشئة الفرنسويّة بتآليفهما الكفريّة في القرن التاسع عشر. ومع هذا ترى كوينه قد كتب هذه الجملة التي تقضي على كفرهِ حيث قال: «انَّ كلّ شعب يفقد ذكر وجود الله يفقد في الوقت ذاتهِ كلّ معنى وجدانهِ .. فلا أرى ما الموجب بعد ذلك لمواصلة سيرهِ». ومثلهُ رفيقهُ ميشله كتب ما تعريبهُ: «ان منظر العالم عجيبٌ بما فيهِ من غرائب المخلوقات ومظاهر الطبيعة والصناعة والاكتشافات العلميّة ولكن اذا عاد الانسان من ذكر الله لم يعُد لهُ سندٌ لتعليل بهاء الكون ونظامهِ وهندام كلّ اجزائهِ ولذلك اقول: لا غنى لي عن الله (Je ne puis me passer de Dieu)»

وهذا سانت بوف (Ste Beuve) النقّاد الشهير والمزّاح المتشدّق فانهُ كتب للدكتور هوغو ما تعريبهُ لتعزيةٍ في وفاة بعض ذويهِ:

«ليس في العالم تعزية اصدق وسلوان أثبت بعد بلايانا كاعتقادنا لوجود الله وما يتبع ذلك من الحقائق كخلود النفس والثواب او العقاب وسيرنا في هذا العالم على مقتضى الواجب وانتقال عقلنا من المشهور الى غير المنظور. فانّ من يرضي بهذه العقائد لا ينجو من البلايا وانما يجد في الصبر عليها قوّةً وثباتاً»

ومن حِكَم الشيوعيّ لويس بلان (Louis Blanc): «كلّ ما يُنزع في الحكومة من سلطة الله يُضاف الى سلطان الجلّاد» Tout ce qu'on retranche dans l'Etat à la souveraineté deDieu, on l'ajoute à la souveraineté du Bourreau

ومثلهُ اللاديني جول فافر (Jules Favre) فانهُ في خطابهِ يوم انضمامهِ الى الاكاديميّة الفرنسويّة في ٢٥ نيسان ١٨٦٨ أدّى هذه الشهادة لوجودهِ تعالى عزّ وجلّ:

« اني لأجد في حواسي برهاناً جلياً أشعر به في كل حين ولا يمكنني تفنيده. لعمري كيف نستطيع انكار عقلٍ سامٍ ومشيئةٍ علويّة كلما نظر نظام هذا العالم العجيب. فانّ العلم يُرينا حتى في اصغر دود الارض عجائب باهرة تسبي عقولنا. وكذا قل عن كافّة الموجودات فكيف نعلّل كل ذلك دون الاقرار بصانعها. وما ترينا حواسنا بيّنة عقلنا فيضطرّنا باعلان وجوده تعالى ما لم نشأ ان نحط بانكارنا الى قعر الذل والهوان »

واضطرّ رنان (E. Renan) ان يقرّ بوجود الله كغيره من الملحدين. كيف لا وهو القائل في خطابه يوم اختياره كعضو لجمعيّة العلوم الفرنسويّة في ٣ نيسان ١٨٧٩ :

« اذا ما جلس الانسان يوماً ليفكر في عواقبه يجد في قلبه سهماً لا يستطيع ان ينزعهُ عنهُ وما ذاك إلّا الله الذي قال عنهُ فكتور هوغو (Les Travailleurs de la Mer II, n°, 5) ان معرفتهُ فينا غريزيّة فطريّة. والحق يقال انّها في صميم وجدان الانسان لا تقوى السفسطة ولا المذاهب الفلسفيّة الباطلة ولا المنازعات على ان تمحي آثارها »

ولا يشذّ الشعراء الملحدون عن غيرهم من الكتبة فهذا فكتور هوغو (V. Hugo) فانهُ في أيام تعقّله ورجاحة فكره كتب قصائد رنانة تُشعر بايمانه بل في عهد انقلابه وحياده عن الدين اضطرّهُ الحقّ الى الاقرار بوجوده تعالى وصفاته الالهيّة. وقد جمع اقوالهُ في الدين احد الكهنة فنشرها في كتاب دعاهُ : «فكتور هوغو محامي الدين» (L'Abbé Duplessy: V. Hugo apologiste. *Paris, Ledey* *1892*). وكفانا نقل ما كتبهُ في كتابه « البؤساء » (Les Misérables, I, 1, 5) وهو احد التآليف التي حرّمت الكنيسة مطالعتها قال :

« يا من هو الكائن ! انت الذي يدعوك صاحب الجامعة « بالكلي القدرة » وسفر المكابيين « بالخالق » والمزامير « بالحكمة والحق » ويدعوك يوحنا الانجيلي « نوراً » وسفر الخروج « العناية الصمدانية » وسفر اللاويين « القداسة » وسفر عزرا « العدل » والكون يدعوك « الله » ويناديك الانسان باسم « الاب » ويعرفك سليمان باسم « الرحمة » وهذا اجمل اسمائك الالهية ! »

وفي خطابه سنة ١٨٦٩ في مجلس النوّاب قال :

« لستُ لأنفي من المدارس التعليم الديني لا بل اعلموا انّ هذا التعليم في عهدنا ألزم واوجب منهُ في ايّ عهد كان. فانّ الانسان على قدر عظمته يجب ان يزيد ايمانهُ. وعلى قدر اقترابه من الله يجب ان يشخص الى الله »

والشاعر الفرنسي جان ريشيان (J. Richepin) هو ايضاً فتح يوماً فمه فنطق بالحق فوضع على لسان رجل ملحد قوله «ان الانسان لا يمكنه ان يحيا دون ان يرفع نظره الى العلاء وانه هو اي الملحد يضطره العلم الى الوقوف على حقيقة وجوده»

Ce n'est pas vrai qu'on puisse vivre
Sans jamais regarder là-haut.
Le besoin de savoir enivre :
Et je saurai ; car il le faut !

ومما جعله على لسان الشيطان يخاطب الملحد الزنديق متهكماً وناسباً اليه الكذب بقوله ان الله غير موجود

Êtes-vous bien athée ?
Êtes-vous très certain que Dieu n'existe point ?
Si Dieu n'est rien pourquoi lui montrez-vous le poing?. .
Vous y croyez mon cher ! J'y crois bien, moi, le Diable.

ومثلها الزنديق سولّي برودهون (Sully-Prudhon) المعروف بمعاداته للدين فانه في كتابه المعنون بالسعادة (Le Bonheur) يبكّت العلماء الذين يطلبون غير الله لتعليل الموجودات ويختم كلامه بقوله : عبثاً تزعمون ان الذرة والقوة اصل الموجودات فانكم تعلنون بذلك ولو مرغمين بوجود قوة الله

Vous même, en parlant de forces et d'atômes
Vous parlez d'Elle, au fond.

ومثل هؤلاء الشاعر الفرد موسّه (Alf. Mousset) المتطرف في آرائه . فانه يشهد في بعض كتاباته لقوّة الدين وبطلان التمدّن المادّي دون الله . قال :

« انّ الحكومة تجرّدت من الدين وهذا الامر (مما زعمه بعض المتهوّسين من الكتبة) مصيبة عظيمة للفرنسة . فانّ رخص المتجر لا يردّ لها ما خسرته وكلّ خمارات باريس لا تجديها كما تفيدها اصغر كنائس فرنسا فانّ الكنيسة تضمد جراحات الانسان ونظره الى العرشاني (القربان) يعيد له ما فقد من الرجاء »

وقد تهكم في قصيدته «L'espoir en Dieu» بالملحدين كفولتير وسبينوزا وكنت ثم يختم قصيدته بذكر خيبتهم اذ سهوا من الله فقال:

Ah ! pauvres insensés, misérables cervelles,
Qui de tant de façons avez tout expliqué,
Pour aller jusqu'aux cieux, il vous fallait des ailes ;
Vous aviez le désir, la Foi vous a manqué.

فترى بعد اقوال هؤلاء النوابغ الذين انطقهم الحق ولو مرغومين كم يشطّ بعض الزنادقة الطالبين نفي الدين فان الهوى يعمي عقولهم حتى انهم ادّعوا تدمير الدين كما قال اولار (Aulard) الملحدين من حزبه «لا نقل منذ الآن اننا لا نريد تدمير الدين. كلا بل نصرّح اننا نحاول خراب الدين» ومثله جنونًا ما جاء في التعليم الجمهوري (Le Catéchisme républicain): «هيا اقتلوا الله ولا يكفي ان نخرب الكنيسة بل يجب ان نقتل الله « Ah ! plus de Dieu... il faut tuer Dieu ! »

٢ اقوال الملحدين في السيد المسيح

قال بولس الرسول (فيلبي ٢: ١٠): «تجثو باسم يسوع كلّ ركبة مما في السماوات وعلى الارض وفي الجحيم». ولقوات الجحيم على الارض رجال يمثلونها بمحاربتهم ضدّ الربّ وضدّ مسيحه (مزمور ٢). فكما ان ابليس يوم تمرّده على خالقه صرخ: «لستُ اخدم» كذلك رصفاؤه على الارض صرخوا مع فولتير «فلنسحقنّ الرجس» (Ecrasons l'Infâme!) ظنًّا منهم انهم يقوون على الله ويمحون من الارض ذكر السيد المسيح ودينه

على انّ آمالهم الباطلة قد خابت هنا كما خابت في محاربة الدين وقُضي عليهم بان يقرّوا بالمسيح وبلاهوته وبظفره كما فعل القيصر يوليانس الجاحد لمّا رشق السماء بسهمه المخضب بدمه صارخًا: «لقد غلبتَ أيها الناصري». وهذا فولتير قد اطرأ حكم الكنيسة وحسن سياستها على مقتضى تعاليم السيد المسيح فقابلة بحكم

الملحدين وتعرهم غير المحتمل فقال: «لو كان الملحدون يسوسون العالم لكان حكمهم اشبه بحكم الارواح الشرّيرة التي يصوّرونها لنا وهي تُفرغ سجال غضبها على ضحاياها» وقال في مكان آخر عن الفلاسفة المتغطرسين الكاذبين الذين لم يأتِ تعليمهم بثمرة بينا السيد المسيح غيّر وجه العالم بتعليمه وموته فقال: «لم نعلم انّ فيلسوفاً واحداً أثّر تعليمهُ في اهل الحيّ الذي كان هو يسكنهُ»

وجاراهُ رصيفهُ جان جاك روسو في كلامهِ الشهير عن السيد المسيح وتعليمهِ فختمهُ بتلك الكلمة الشهيرة التي هي اعظم مديح في الاله المتأنس حيث قال مقابلاً بين موت سقراط وموت ابن الله: «انّ سقراط مات ميتة حكيم. امّا يسوع المسيح فمات ميتة إلهٍ»

وعقبها القرن التاسع عشر المجبول بكفرهما الّا انّ الله استخرج ايضاً من افواه الملحدين من تبعتهما اقرارات تُفحم ناكري الحقيقة. فهذا رنان الذي قام في القرن الماضي وأراد ان يحطّ السيد المسيح عن مقامهِ الرفيع فأتى في اثناء كتاباتهِ ولو مرغوماً بما ينقض تماماً اقوالهُ الكفريّة في حقّ ابن الله. فممّا جاء من اقراراتهِ قولهُ في كتابهِ حياة يسوع (ص ٤٤٧): «انّ يسوع قد أسّس الدين بين البشر كما أسّس سقراط الفلسفة وانشأ ارسطو العلم... وهذا التأسيس هو حقّاً عمل يسوع نفسهِ وحيث انهُ جعل البشر يسجدون لهُ بهذا المقدار فلا بُدَّ ان يكون جديراً بالسجود»

وقال في محلّ آخر وهو يخاطب السيد المسيح: «ان محبّتك منذ موتك لتفوق محبة الناس لك في حياتك الف مرّة. وانك ستضحي في المجتمع البشري كحجرة زاويتهِ حتى لو اراد احد ان ينزع اسمك من هذا العالم لدكّ اساسهُ وزعزعهُ»

ورنان نقل كلمةً قالها الكافر الالماني الكبير ستروس (Strauss) وصدّقها وهي قولهُ: انّ السيد المسيح بلغ في حياتهِ مبلغاً لا يستطيع انسان ان يتجاوزهُ»

وقد اقرّ رنان في مقدّمة كتابهِ (ص ٢٨): «ان تلاميذ السيد المسيح في ما كتبوهُ عنهُ قد قصّروا في تعريفهِ ومديحهِ بدلاً من ان يطنبوا ويبالغوا (١)» فكل هذا الكلام يُشعر باعتراف رنان بلاهوت المسيح إلّا انهُ بعيدٌ عمّا اعلن بهِ جهاراً

١) راجع مقالة حضرة الاب رافائيل نخله في تذكار مولد رنان في المشرق (٢١[١٩٢٣]: ٢٠١-٢٠٦)

الوزير البروتستاني الشهير فكتور كوزين (V. Cousin) حيث قال : « اني لأفضّل الموت الاحمر على نكران لاهوت يسوع المسيح » (Je monterais sur l'échafaud, plutôt que de nier la divinité de J.C.»

وكان سبقهُ نابوليون الاول فقال في منفاه في جزيرة القديسة هيلانة : « انَّ محبة البشر لكبار الرجال لا تتجاوز حدود حياتهم . فمن يا ترى يحبُّ حاضراً قيصر والاسكندر . هذه القاعدة المطردة لم تشذّ إلَّا في السيد المسيح الذي لا يزال محبوباً ولو مرَّ عليه ثمانية عشر قرناً ولذلك انا اقول انهُ ليس بانسان محض »

وقال سانت بوف (Port-Royal. III, 368) : « منذ ولد السيد المسيح على الارض قد ظهر للبشر مثالٌ جديدٌ . ولو اعتبرتَ الذين ناقضوا النصرانيَّة بين مشاهير الناس كفردريك ولابلاس وغوته تجد نقصاً في عقلهم او في قلبهم » — وقال في موضع آخر عن الصلوب : « انَّ السيد المسيح منذ موته قد اضحى للبشر حاجتهم اللازبة فترى حتى الذين لا يقومون بواجباتهم الدينيَّة لا يريدون ان يفارقهم الصليب »

ويخبَرُ عن الاباحيّ جول جامن (Jules Jamin) انَّ احد اصحابهِ رأى في غرفتهِ صليباً فالتفت اليه قائلاً نعماً لك وهذه الصورة ؟ فاجاب جامن بعد ان سلَّم على الصليب : هذا هو الهي فأُريد ان يكون بقربي عند دنوّ اجلي لئلا يحتاج اهلي الى طلبه عند حاجب داري في ساعة وفاتي »

ومثلهُ الروائي الشهير بايرون (Pailleron) دخل يوماً في دار احد رصفائه اميل بلافه (E. Blavet) فوجد غرفة منامه مفتوحة ولمح صليباً كبيراً من العاج فوق فراشهِ فاندهش لقلقه فقال له بايرون : « انَّ هذا الصليب قد وضعهُ اجدادي على صدورهم عند وفاتهم وأملي ان استدمهُ ايضاً على صدري مثلهم »

وما اجمل قول فكتور هوغو عن الصلوب (Contemplations III, iv) حيث يدعو الباكين الى الهٍ بكى قبلهم ، والمتألين الى من سبقهم الى الالم ، والخائفين الى من يبسم للبائسين ، والسائرين في طريق الحياة الى الباقي الى الابد

Vous qui pleurez, venez à ce Dieu, car il pleure;
Vous qui souffrez venez à Lui, car il guérit;
Vous qui tremblez, venez à Lui, car il sourit;
Vous qui passez, venez à Lui, car il demeure !

وقد احسن ايضاً فكتور هوغو لمّا تكلّم من شجرةٍ نُصبت لاكرام الحريّة فقال: «انّ شجرة الحريّة الاولى انّما نصبها الله عينهُ على الجلجلة قبل ١٨٠٠ سنة. وما هذه الشجرة الّا الصليب الذي عليهِ قرَّب السيد المسيح جسدهُ ضحيّةً ليضمن للجنس البشري الحرّيّة والمساواة والاخاء»

هذا بعضٌ من عدّ من اقوال غير المؤمنين ولو شئنا ان نروي هنا شواهد لشاهير العلماء من المؤمنين كلاسرتين وشاتوبريان وغيرهما في اطراء الدين وعقائدهِ لضاقت المجلّة من استيعابها (الاحالة)

شعراء النصرانية بعد الإسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٣٥ بنو ممّاتي النصارى الاقباط

﴿اصلهم ودينهم وزمنهم﴾ بنو ممّاتي اسرةٌ شريفة قبطيّة اصلها من اسيوط في صعيد مصر كانت تدين فيها بالنصرانيّة وهي تنتمي الى ابي مليح الملقَّب بممّاتي. قال ابن خلكان (ص ١٠١): «كان ابو مليح نصرانيّاً وانّما قيل لهُ ممّاتي لانهُ وقع في مصر غلاء عظيم وكان كثير الصَّدقة والاطعام وخصوصاً لصغار المسلمين فكانوا اذا رأوهُ نادى كلّ واحدٍ منهم «ممّاتي» فاشتهر بهِ»

قال ياقوت في معجم الادباء (٢: ٢٤٤) يذكر انتقال بني ممّاتي الى مصر قال: «قدموا مصر وخدموا وتقدّموا وولُّوا الولايات. وهو (اي ابو مليح) مع ذلك من اهل بيت في الكتابة عريق وهو كالمستولي على الديار المصريّة ليس على يده يدٌ.. وكان الى ممّاتي كثير من اعماله»

وكان في تلك الأيام وزيرًا على مصر بَدْر الجمالي امير الجيوش في ايام الخليفة المستنصر بالله وكان ابو مليح احد عُمّالهِ يكتب في ديوان مصر ويتولّى استيفاء الديون

ومما اخبرهُ ياقوت في معجم الادباء (٢ : ٢٤٤ـ٢٤٦) عن الوزير جمال الدين الشيباني ما حرفهُ :

« بلغني انّ بعض تجّار الهند قدم الى مصر ومعهُ سَمَكة مصنوعة من عنبر قد نُشُوِّقَ (في بالاصل تُشُوِّقَ بالخط) فيها وأُجيد وطُيِّبت ورُصِّعت بالجواهر فعرضها على بدر الجمالي ليبيعها منهُ فسامَها من صاحبها فقال : لا أنقصها من ألف دينار شيئًا . فأعيدت اليهِ . فخرج بها من دار بدر فقال لهُ ابو مليح : أرِني هذه السمكة . فأراهُ ايّاها فقال لهُ : كم سُمتَ فيها ؟ فقال : لا أنقصها من الف دينار درهمًا واحدًا . فاخذ بيدهِ وقبض ألف دينار من مالهِ وتركها عندهُ مدّةً . فاتّفق ان شرب ابو مليح يومًا وسكر وقال لندمائهِ : قد اشتهيتُ سمكًا هاتِ المِقْلى والنار حتى نقليهُ بحضرتنا . فجاؤوهُ بمقلٍ حديد وفحم وتركوهُ على النار وجاء بتلك السمكة العنبر فتركها في المقلى . فجعلت تنقلّى وتفوح روائحها حتى لم يبقَ بمصر دارٌ إلّا ودخلتها تلك الرائحة . وكان بدرُ الجمالي جالسًا فشمّ تلك الرائحة وترايدت . فاستدعى الخُزّان وامرهم بفتح خزائنهِ وتفتيشها خوفًا من حريق قد يكون وقع فيها . فوجدوا خزائنهُ سالمةً فقال : ويحكم انظروا ما هذا . فتفشّوا حتى وقفوا على حقيقة الخبر فاستعظم وقال : هذا النصراني الفاعل الصانع قد أكل اموالي واستبدّ بالدنيا دوني حتّى امكنهُ ان يفعل هذا . وتركهُ الى الغداة فلما دخل اليهِ وهو مُغضَب قال لهُ : « ويحك أستعظمُ انا وانا مالكُ مصر شِرْيَ سمكةٍ من العنبر فأتركها استكثارًا لثمنها فتشتريها انت . ثمّ لا يُقنعك حتى تقليها وتذهب في ساعةٍ واحد بألف دينار مصرية ؟ ما فعلتَ هذا إلّا وقد نلتَ بيت اموالي اليك وفعلت » . فقال لهُ : « واللهِ ما فعلتُ هذا الّا غيرةً عليك وعصبةً لك لأنّك اليوم سلطان نصف الدنيا وهذه سمكةٌ لا يشتريها إلّا ملك فخفتُ أن يذهب بها الى بعض الملوك ويخبره بأنك استغليتها ولم تشترِها فأردتُ ان اعكس الامر وأُعلمهُ أنك ما تركتها إلّا استحقارًا لها وانّها لم يكن لها عندك مقدار وانّ كاتبًا نصرانيًا من كُتّابك اشتراها وأحرقها فيشيع بذلك ذكرك ويعظم عند الملوك قدرُك » . فاستحسن بدر ذلك منهُ وامر لهُ بضعفي ثمنها وزاد في رزقهِ »

واردف ياقوت : وكان مثالي مع ذلك كريمًا ممدَّحًا قد مدحهُ الشعراء . فذكر ابو الصلت في كتاب الرسالة المصرية لهُ انّ ابا طاهر اسماعيل بن محمد النشاع المعروف بابن مكنسة (١ كان منقطعًا اليهِ فلمّا مات مُلّي رثاهُ ابن مكنسة بقصيدة منها :

ماذا أُرجّي من حيا في بعد موت ابي المليح (٢

---

١) وفي الخطط للمقريزي (٢ : ١٦٠) يدعوهُ : ابن المكينة وهو تصحيف

٢) ويروى : « من ذا أُؤمّل » ويروى : تاثرت شُهب العلا من بعد . . .

طُوِيَتْ سماءُ المكرما ت وكوّرت شمس المديح

ما كان بالنكس الدنيّ م من الرجال ولا الشحيح

ولما وليَ الافضلُ ابن امير الجيوش بدر الجمالي بعد ابيه دخل اليه ابن مكنسة مادحاً فقال له: ذهب رجاؤك بموت ابي المليح فما الذي جاء بك الينا ? وحرمهُ ولم يقبل مديحهُ

وقرأنا في كتاب البدر السافر في انس المسافر (ص ١١٩) لكمال الدين ابي الفضل جعفر الادفوي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ (١٣٤١م) انّ ابا مليح ممّاتي كان اسمهُ مينا وانهُ ابن ابي زكريا بن ابي قدامة. قال (ص ١٦٨):

«وكان جوهرياً بمصر وكان يصبغ البلّور صبغة الياقوت فلا يميّز بينهما إلّا الخبير بالجوهر. قال الوزير القفطي: حكى لي رجل يُعرف بالرشيد الصائغ انهُ اذا كان نودي على القصّ من صنعتهِ تشوّقت نحوهُ العيون اكثر من تشوّقها الى غيرهِ من الجوهر بجودتهِ وحسن منظرهِ»

﴿ولدهُ المهذّب ممّاتي﴾ قال ياقوت في معجم الادباء (٢: ٢٤٦): «امّا المهذّب ولدهُ (اي ولد ابي مليح) وكان يلقّب بالخطير فانهُ كان كاتب ديوان الجيش بمصر في اواخر أيام المصريين (يريد الفاطميين) واوّل يوم بني أيوب مدّةً فقصدهُ الكتّاب وعملوا لهُ حديثاً عند صلاح الدين يوسف بن ايوب او (وزيره) اسد الدين شيركوهُ وهو يومئذٍ المتولّي على الديار المصرية فخاف المهذّبُ فجمع اولادهُ ودخل على السلطان: وأسلموا على يده فقبلهم واحسن اليهم وزاد في ولاياتهم»

ثمّ نقل هناك ما اخبرهُ ابو المكارم اسعد ابن المهذّب عن ابيه الخطير قال انهُ كان مرتّباً على ديوان الاقطاعات وهو على دين النصرانيّة فلمّا ملك اسد الدين شيركوه في بدء امره بمصر انهُ نصراني وانهُ يتصرّف في [عمله] بلا غيار نهاهُ وامرهُ بغيار النصارى ورفع الذؤابة وشدّ الزنّار وصرفهُ عن الديوان فبادر هو واولادهُ فأسلموا على يدهِ فاقرّهُ على ديوانهِ مدّةً ثمّ صرفهُ عنهُ فقال فيه ابن الذروي:

لم يسلم الشيخُ المهذّبُ رغبةً في دين أحمدْ

بل ظنّ ان محالهُ يبقى لهُ الديوانَ سرمدْ

والآن قد صرفوهُ عنـهُ فدينهُ فالرود أحمدْ

فترى من هذا ما كان يقاسيه النصارى من العنت فيسلمون لا حبًّا بالاسلام واقتناعاً بصحته بل خوفاً من ضرر يلحق بهم او منصب يفقدونهُ. فلا يصحّ ان ننظم مثل هؤلاء في سلك المسلمين. وقد اخبر ياقوت الرومي عن سبب وفاة المهذَّب (ص ٢٤٨) قال:

ومن عجيب ما جرى للخطير انهُ كان يوماً جالساً في ديوانهِ في حجرة موسومة بديوان الجيش من قصر السلطان بمصر. وكانت حجرةً حسنة مرخَّمة منمَّقة فجاءهُ قومٌ وقالوا لهُ: قم من ها هنا. فقال لهم: ما الخبر؟ فقالوا: قد تقدَّم الملك العادل ابو بكر بن أيوب بأخذ رخام هذه الحجرة وان تعمَّر بهِ موضعاً آخر. فخرج متكدراً كسفاً فقيل لهُ في ذلك فقال: «قد استُجيبت فينا دعوةٌ وما انثني اجلس في ديوان بعدها. أما سمعتم اذا بالنوا في الدعاء علينا قالوا: خرَّبَ الله ديوانهُ. وما بعد الخراب الا اليباب. ثم دخل منزلهُ وحُمَّ فلم يخرج منهُ الا ميتاً»

وكانت وفاة الخطير يوم الاربعاء ٦ رمضان سنة ٥٧٧ (١١٨٢م) وذكر الأدباء للمهذَّب شعراً فمن ذلك ما قالهُ لاسد الدين شيركوهُ لمَّا امرهُ بالتيار (من السريع):

يا أسد الدين ومَن عدلُهُ يحفَظُ فينا سُنَّةَ المصطفى
كفى غِباراً شدُّ أوساطِنا فما الذي اوجبَ(١) كشفَ القفا

ومن شعرهِ ما رواهُ عنهُ سعيد بن ابي الكرم بن هبة المصري يتغزَّل بأبي سعيد ابن ابي اليمن النحّال وزير العادل وكان نصرانيًّا وأسلم وكان املحَ الناس وجهاً فقال المهذَّب (من السريع):

وشادنٍ لمَّا بدا مُقبِلًا(٢) سبَّحتُ ربَّ العرش باريهِ
ومذ رأيتُ النَّحلَ في خدِّهِ(٣) أيقنتُ انَّ الشهدَ في فيهِ

وكان ابن النحّال يسكن في اوَّل درب نور الدين في مصر وكان في آخرهِ صبيٌّ آخر

---

١) ويروى: يوجبُ

٢) وفي ياقوت (ص ٢٤٨) وشاذن (بالذال وهو غلط) لمَّا أتى

٣) ويروى: النمل في خدّهِ

نصراني مثلهُ حسناً يُعرَف بابن زنبور فقال المهذَّب (من الطويل):

حوى دربُ نور الدين كلّ شمَرْدلٍ ... مشدَّدةٍ اوساطُهم بالزنانير
فأوَّلهُ للشهد والنحلِ منزلٌ ... وآخره يا سادتي للزنابيرِ

ومن ظريف قولهِ ممّا رواهُ الادفوي (من الطويل):

ولمّا بكتْ عيني دماء لفقدكم ... تيقّنتُ انّ القلبَ فيهِ كلومُ

وروى لهُ العماد الاصبهاني في الخريدة قولهُ في كتمان السرّ (من البسيط):

واكتمُ السرَّ حتى عن إعادتهِ ... الى المُسِرِّ بهِ من غير نسيانِ
وذاك انّ لساني ليس يُعلِمُهُ ... سمعي بسرّ الذي قد كان ناجاني

وروى ايضاً (Ms. Berlin 7412, ff. 180) يصف الخمر (من البسيط):

اذا انبرتْ من فمِ الابريقِ تحسبُها ... شهابَ ليلٍ رقى في الكاس شيطانا

قال: ومن شعرهِ من قصيدةٍ (من الطويل):

ابيتُ رقيبَ النجم منها كأنّما ... عيونيَ لم يُخلَقْ لهنّ جفونُ

ومنها:

كأنّ ظلامَ الليل اذ لاحَ بدرهُ ... دُجوجيُّ شعرٍ لاحَ منهُ وجينُ
كأنّ الثريّا ترقبُ الليلَ غيرةً ... فقد هجرتْ منها المنامَ عيونُ
كأنّ سُهيلًا في مطالع أُفقِهِ ... فؤادٌ مَروعٌ خامرتْهُ ظنونُ
كأنّ السها تبدو أواناً وتنجلي ... لدى الليلِ سرٌّ في حشاهُ مصونُ

﴿ابن الاسعد مَمّاتي﴾ هو شرف الدين ابو المكارم اسعد بن المهذَّب مَمّاتي المصري الكاتب الشاعر. قال ياقوت في معجم الادباء (٢: ٢٤٩) والمقريزي في الخطط (٢: ٢٦٠): «خلف اباه على ديوان الجيش وتصدَّر فيه مدَّةً طويلة ثمَّ أُضيف اليه ديوان المال وهو اجلُّ ديوان من دواوين مصر واستمرَّ في ذلك مدَّة ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأيام ابنه الملك العزيز عثمان وولي نظر الدواوين واختصَّ بالقاضي الفاضل عبد الرحمان بن علي البيساني فنفق عليه وحظي عنده وكُرِّم لديه فقام بامره واشاع من ذكره ونبَّه على فضله وصنَّف له عدَّة تصانيف باسمه وكان يسمّيه بلبل المجلس»

قال المقريزي في الخطط: «ولم يزل بمصر حتى ملك السلطان الملك العادل ابو بكر بن أيوب ووزَر له صفيُّ الدين علي بن عبدالله بن شكر فخافه الاسعد لما كان يصدر منه في حقه من الاهانة وشرع الوزير ابن شكر في العمل عليه ورتَّب له مؤامرات ونكبة وأحال عليه الاجناد ففرَّ من القاهرة وسقط في حلب»

قال ياقوت في معجم الادباء. حدَّث الصاحب جمال الدين الاكرم قال: لما ورد الاسعد الى حلب نزل في داري فاقام عندي مدَّةً وذلك في سنة ٦٠٤ (١٢٠٧م). وعرف الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين خبرَه فاكرمهُ وأجرى عليه في كل يوم ديناراً صورياً وثلثة دنانير أخرى أجرة دار... واقام عنده على قدم العطلة الى سنة ٦٠٦ وفيها مات سلخ جمادى الاولى سنة ٦٠٦ (١٢٠٩م) عن ٦٢ سنة فدُفن بظاهر حلب بمقام بقرب قبر ابي بكر الهروي»

واشتهر الاسعد بادبه ومصنَّفاته. قال العماد الاصبهاني: «كان فاضلاً اديباً شاعراً ناثراً... وتأدَّب وصنَّف مصنَّفات في فنون عدَّة منها كتاب سرّ الشعر صنَّفهُ للملك العزيز. وكتاب علم النثر. ونظَم سيرة السلطان صلاح الدين يوسف ونظم كتاب كليلة ودمنة. ومن تآليفه المشتهرة كتاب صفة الحقّ على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم كان السلطان صلاح الدين يُكثر النظر فيه وهو من اهمّ ما طالعه الملوك. وصنَّف ايضاً للملك العزيز كتاب قوانين الدواوين فيما يتعلَّق بدواوين مصر ورسومها واصولها واحوالها في اربعة اجزاء ضخمة ذكر فيه اربعة آلاف ضيعة من اعمال مصر ومساحة كل ضيعة وقانونَ ريّها ومتحصَّلها من عين وغلة. وكتب اخرى

كثيرة عدَّدها ياقوت في معجم الادباء (٢ : ٢٥١)

ولاسعد مماتي ديوان شعر تعددت محاسنهُ فروى منهُ الادباء عدَّة مقاطيع. فمن ذلك ما رواهُ عنهُ السيوطي في اخبار مصر والقاهرة (٢ : ٢٠٧ و٢٠٨) يصف جزيرة مصر (من الطويل) :

جزيرةَ مِصرٍ لا عَدَتْكِ مَسَرَّةٌ ولا زالتِ اللذَّاتُ فيكِ اتّصالُها
فكم فيكِ من شمسٍ على غُصنِ بانةٍ يُميتُ ويُحيي هَجرُها ووِصالُها
مَغانيكِ فوقَ النيلِ أضحتْ هوادجاً ومختلفاتُ الموجِ فيها جِمالُها(١
ومن أعجبِ الاشياءِ انكِ جنَّةٌ تُدِفُّ على اهلِ الضَّلالِ ظِلالُها(٢

وقال في الروضة وقد أحيا السلطان الكامل محمَّد (من الطويل) :

جزيرةَ مصرٍ انتِ أشرفُ موضعٍ على الارضِ لمَّا حلَّ فيكِ محمَّدُ
وفيكِ علا البحرانِ لكنْ كفُّ ذا على الناسِ أندى بالعطاءِ وأجودُ
واصبحتِ الاغصانُ من فرحٍ بهِ تَمايَلُ والأطيارُ فيكِ تَغرَّدُ
فرَقَّ نسيمٌ حين سارَ وجدولٌ وشدا هزارٌ حين يرقصُ مَنْهَدُ

وانشد في وصف الخليج (من الوافر) :

خليجٌ كالحُسامِ لهُ صِقالٌ ولكنْ فيهِ للرائي مَسرَّةْ
رأيتُ بهِ المَلاحَ تَعومُ فيهِ(٣ كأنَّهمُ نجومٌ في المجرَّةْ

وممَّا قالهُ في تحامُل الوزير صفيّ الدين عليهِ وهربهِ الى حلب (من الطويل) :

---

١) روى المقري في نفح الطيب (١ : ٣١) : فيك حبالها

٢) وفي المقري : تُدِفُّ. اراد انها يستظلّ تحت اغصانها غير المسلمين فتمتّعهم باهل الضّلال

٣) كذا في الاصل. وفي نسخة اخرى : تجيد عوماً

تشكَّرَ لي ودُّ الصفيِّ ولم أكن ... بهِ رافعاً رأساً لواعتدل الزمن
ولكن علا عند انخفاض وساءني ... وحسبك من شخص تركت له الوطن

وقال ايضاً (من مجزوء الكامل):

لا تقبلنَّ من الوشا ... ةِ وتُقبلن على العواذل
فالعين قد جُنَّت بِبُعـ ... ـدك والدموع لها هواطل

ودخل يوماً على صلاح الدين فوجده يلعب بالشطرنج فقال (من السريع):

ان يكن الشطرنج مشغلةً ... لعلي القدر والهمم
فهي في ناديك تذكرةٌ ... لامور الحرب والكرم

وقال في غلام نحوي (من السريع):

وأهيف أحدث لي نحوه ... تعجباً يعرب عن ظرفه
علامة التأنيث في لفظه ... وأحرف العلة في طرفه

وروى له الصفدي في شرح لامية العجم (من السريع):

أيسكن الناس وقد حاطهم ... سبعة افلاكٍ عليهم تدور
والدار في الاخرى دهاليزها ... في هذه الدنيا لحود القبور

وقال في وصف الحسود (من الخفيف):

لا تُصِخ للحسود في ذمِّه النمـ ... ـمة مع كونه العجول اليها
فهو مثل السحاب اذ حجب الشمـ ... ـس عن العين ثم يبكي عليها

ومما مدح به الظاهر الغازي في حلب قوله (من الوافر):

أسكران نديم الندّ غاز ... واسماء الملوك لها حلاها
كأن الشَّرَّ زيَّنها طوالٌ ... فكم نفسٍ بهنَّ قد استقاها
اذا اكتحلت عيون من عداة ... بغير حياة وجدت عماها

وأطمعَ نَفسَ أسمَرهِ واضحى … يفتّش من نفوسٍ ما خباها
كأنك خِلتَها ستَرت كميناً … فتطعَنها لتُبصِرَ ما وراهـا
سلِ البيت المقدّس عنهُ يُخبِرْ … بسُورة فتحِهِ لمـاَّ تلاهـا

وروى له ابن خلكان في الماتبة (من الوافر):

تُعاتبني وتَنهى عن امورٍ … سبيلُ الناسِ ان يَنهَوك عنها
أتَقدِرُ ان تكونَ كمثلِ عيني … وحقّك ما عليَّ أضرُّ منها

وقال منوّهاً بنهري دمشق تَورا وبَرَدَى (مجزوء الوافر):

حكى نهرَين ما في الار … ضِ مَن يَحكيهما أبدا
حكى في خَلقِهِ ثَورًا … وفي اخلاقِهِ بَرَدى

اخذهُ من قول بعضهم:

شاهي ابنُ بشرانَ مدينة جلّقٍ … كلاهما يوم الفخـارِ فريدُ
ألفاظهُ بَرَدى وصورةُ خلقِهِ … ثورا وشخصُ المَثلِ هو يزيدُ

وقال في الغزل (من الرجز):

سمراءُ قد أزرَتْ بكلِّ أسمرِ … بلَونها ولِينهـا وقدِّهـا
انفاسُها دخانُ ندٍّ خامـا … وريقُها من ماءِ وَرْدِ خدِّهـا
لو كتبَ البَدرُ الى خدمتها … رسالةً ترجمهـا بعَبدِهـا

وقال يصف كريمًا (من الطويل):

لنيرانِهِ في الليلِ ايُّ تحرُّقٍ … على الضَّيفِ إن أبطا وايُّ تلَهُّبِ
وما ضرَّ من يَعشو الى ضوء نارهِ … اذا هو لم ينزل بآلِ المهلَّبِ

(له بقيّة)

تاريخ الشيخ ظاهر العُمَر الزيداني

نشره بتعاليق ومقدمة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

توطئة

من العجائب التي في خزانتي المخطوطة ثلاث رسائل استنسختها من خزانة (بني فرّاج) في القدس الشريف بواسطة صديقي نسيبي الاستاذ جرجي افندي الماروني سكرتير القنصلية الروسية القدسي في صيف سنة ١٩١٣ لانشرها في مجلتي (الآثار) فطويت الى الآن فرأيت نشرها على صفحات المشرق ضنًّا بها ان تنالها يد الضياع

(فالرسالة الاولى) اسماء حكام الشام من سنة ١١٢٠ الى ١٢٢٣ﻫ (١٧٠٨-١٨٠٨م) اولهم ناصيف باشا وآخرهم كنج يوسف باشا. وهذه طويتها الآن لأن عندي مقالة مطولة في حكام الشام منذ القديم الى يومنا في كتابي (تاريخ دمشق وعمرانها) المخطوط سانشرها في فرصة ثانية

و(الرسالتان الباقيتان) هما المنشورتان الآن (فاولاهما) قصة ظاهر العمر حاكم عكا وما يليها في القرن الثامن عشر للميلاد وهي خلو من اسم مؤلفها. (والثانية) قصة ايضًا مختلفة عن الاولى منقولة عن تاريخ مخطوط لنقولا بن سمعان فراج ترجمان قنصل روسية في القدس اذ ذاك وهي في خزانة ولده يعقوب فراج قنصل روسية في القدس قبل الحرب العامة. وفي القصتين اشياء لم يذكرها المؤرخون. وقد علّقتُ عليها حواشي تبيّن ما أتحقق منها. وابقيتها بلغتها العامية احيانًا وفيها لهجة مصريّة قليلة تدلّ على ان كاتبها كان في مصر او ان اصله مصري وصدّرتها بكلمة هي

من هو ظاهر العُمَر ؟

هو من بني زيدان الذين قدموا من عرب الطائف لقحط بلادهم الحجازية في اول القرن الثاني عشر للهجرة. وكانوا ثلاثة اخوة زيدان وصالح وطلحة فنزلوا بمواشيهم في عرّابة البطّوف من بلاد الشاغور في فلسطين فتطبّبوا على اسرة درزية هناك واخذوا منها الزعامة وتحضّروا ونُسبوا الى كبيرهم فقيل لهم (الزيادنة). ونشأ من زيدان عمر والد الشيخ ظاهر واخوته فقيل له (ظاهر العُمَر) بادخال أل على العلَم كما هي العادة في

بعض البلدان. وقد اشتهرنا بسطوتهم هم وذراريهم الى ان نُكِب ظاهر واولاده فتفرّقوا في بعض انحاء سورية وفلسطين . ومن بقاياهم الآن (بنو الحاج ظاهر) في الناصرة و(بنو البارودي) في دمشق. ومنهم فخري بك الذي ذكرته الصحف في هذه الايام. و(آل صنديد) في صفد. و(آخرون) في جهات اخرى في بعض الروايات

واشهرهم الشيخ ظاهر بن عمر المشهور باسم (ظاهر العمر) الذي حكم بلاد الجليل واتخذ عكا قاعدةً له وتوفي سنة ١١٩٠ هـ (١٧٧٦ م) وامتدّت ولايته وولاية اخوته واولاده ولاسيما علي منهم الى ما وراء تلك المقاطعات فحكموها ثمانين سنة من تخوم بلاد بشارة شمالاً الى اطراف جبال القدس جنوباً ومن البحر المتوسط غرباً الى جبل عجلون شرقاً. فشيّدوا القلاع في كثير من المدن وبنوا الاسوار ورمّموا بعضها منها قلاع عكا وصفد وطبرية وشفاعمر وتبنه ودير حنا والسلط والناصرة. وبنى ظاهر للافرنج التجار في عكا (خان الافرنج). واطلق للاديان الحرية فاجتمع حوله كثير من المسيحيين كانوا اطباءهُ وكتّابهُ وخدّامهُ وكان رئيسُ كتّابه ومعتمدهُ ابرهيم الصباغ المشهور. واتّحد مع كاترينه امبراطورة روسية ضد العثمانيين واستقدم صنّاعاً لعمل المدافع التي نقش عليها اسمهُ ولإعداد الذخائر الحربية والاسلحة وأنشأ دولة اشبه بدولة الامير فخر الدين المعني الذي امتدت سلطته اكثر منه وكانت ولايته هو واسلافه اطول من ولاية الظاهر

ولقد ابلى بحروبه البلاء الحسن واشتدّ العداء بينهُ وبين الحكّام الذين جاوروه فناوأ الامراء الشهابيين حكام لبنان ووادي التيم ومشايخ المتاولة آل علي الصغير. وعقد احياناً محالفات معهم متصرفاً بحسب ما تحكم عليه السياسة. واجار علي بك الكبير حاكم مصر الفارّ من وجه الدولة وناهض احمد باشا الجزّار والي عكا الذي قضى عليه. وسليمانَ باشا العظم والي الشام. ومتوركة عثمان باشا الصادق واليها ايضاً. ومحمدَ بك ابا الذهب المصري. وحسنَ باشا قبودان (قبطان) قائد العمارة العثمانية. الذي طلب منه مالاً فاشار عليه ابرهيم الصباغ بعدم اعطائه ما طلب. فكان بذلك نهاية حياتيهما لان احد المغاربة قتل الشيخ ظاهر عن نحو تسعين سنة وكان من خدامه. وابرهيم الصباغ اخذه القبطان العثماني معه الى الاستانة وشنقهُ هناك. وقُتل معظم اولاد الشيخ ظاهر على اثر ذلك فسقطت امارتهم التي أقلقت البلاد اكثر من ثلاثة

ارباع القرن. ولقد وقفتُ على رسالة من مجمع انتشار الايمان المقدس في رومية الى السيد ثاودوسيوس الدهان بطريرك الروم الكاثوليك (١) في مجموعة من مخطوطاتي انشرها الآن لمعرفة ما كان لابرهيم الصباغ من المنزلة وهي بنصّها:

الى السيد الكلي الشرف والاحترام

ان هذا المجمع المقدس قد سمع بحزن عظيم المصائب التي حدثت لمدينة عكاء النبية وايضاً تسلك السيد الكوالادار (٢) ابرهيم الصباغ والخطر الموجود في فجرودة هؤلاء السادة الكردينالية واستحقاق المذكور وعيله في المناضلة عن ايماننا المقدس وفي بناء الكنائس يستحقون بلا ريب ليس ان المجمع المقدس فقط بل قداسة سيدنا ايضاً يرجون كل سعيهم خلاص المشار اليه. ومن ثمَّ لا يصير تقاعد منّا في استعمال كل الوسائط الممكنة في القسطنطينية الى الحصول على الغاية المقصودة مع ان الامل قليل ان نفوز بالمرغوب لوجود ظروف عسرة وخطرة جداً. فسيادتكم لا تكففوا من أن تقدموا للجلال الالهي في هذا الشأن تضرُّعات غير منقطعة. وانهي هذه الاسطر مقدماً ذاتي قلبياً في ٣ نيسان سنة ١٧٧٦ الكلي الود لحضرتكم

استفانوس بورجيا كاتم السرّ الكردينال كستي مقدام المجمع

ولقد ذكر بعض الشعراء مواقع الظاهر والمتاولة منهم الشيخ ابرهيم الحاريصي العاملي شاعر آل علي الصغير في جبل عامل واجابهُ عبد الحليم الشويكي النابلسي شاعر الظاهر. وشجاعة رجال الظاهر ايضاً. والخوري نقولا الصائغ الذي ارَّخ له بعض ابنيته

ونشأ من سلالة (ظاهر) ولده عثمان الذي استبقاه حسن باشا قبطان وحمله الى الاستانة وأخذ اليها معظم سلائل اسرته وكانوا اكثر من ٣٠ نفراً. وعثمان عالم شاعر اديب له اشعار وقفتُ على بعضها. ومنهم الشيخ فاضل بن علي الظاهر له منظومات منها (سعادة الدارين) وهي ارجوزة وغيرهما جُمعت في ديوان خاص. ومن مشاهير الشعراء في الاستانة يوسف خالص افندي بن احمد بن الشيخ ظاهر. وربما نشأ غيرهم من اولادهم الذين لهم بقية الآن في الاستانة

---

١) هو بيروتي من اسرة الدهان المعروفة ولد سنة ١٦٩٦ وتنسَّف على بيروت سنة ١٧٣٦ باسم اثناسيوس وصار بطريركاً سنة ١٧٦١ باسم ثاودوسيوس وتوفي سنة ١٧٨٨

٢) يريد Chevalier وهي رتبة معروفة

ولقد جمعت ما وقفت عليه من منظومات ابناء الظاهر وحفدته وهي رشيقة بليغة ربما نشرتها. وعُني كثير بتواريخ (الزيادنة) منهم عبود الصباغ في (الروض الزاهر في تاريخ ظاهر). ومخايل بن نقولا الصباغ في تاريخ آخر (منه نسخة في خزانة الآباء اليسوعيين في بيروت). ونعمان قساطلي الدمشقي في مجلة الجنان سنة ١٨٧٧ وجرجس افندي يني في مجلة المقتطف. ومجلة الزهرة في مجلديها الرابع والخامس. والاب قسطنطين الباشا في المسرة. والقس اسعد منصور في تاريخ الناصرة. ونوفل نعمة الله نوفل في كشف اللثام. وغيرهم من المؤرخين

الرسالة

١ قصة الشيخ ظاهر العمر حاكم مدينة عكا(١

هذا كان اصلهُ من براري المدينة المذكورة وكان من ذوي البيوت المشهورة فاشرق شمس مجده. وكان والي صيدا يرسل مسلمين من طرفهِ الى عكا وصور وبيروت. وكانت براري وجبال بيروت بيد حكامها الامراء الشهابيين. وكان المتقدم عليهم في ذلك الوقت الامير ملحم(٢. هذا كان الاجل (٣ في نعمة الشيخ ظاهر العمر ومشايخ بني متوال (٤ الآتي ذكرهم. والامير المذكور كان يدفع الميري (٥ المرتبة عليه من قبل الدولة الى والي صيدا. وكذلك مدينة صور وبراريها وجبالها كانت بيد المتاولة. والمذكورين يضمنون بلادهم من والي صيدا ويدفعون له الميري. واما جبال وبراري عكا كانت بيد مشايخها. ومن الجملة كان بيت ابو زيدان

---

١) هكذا عُنونت المقالة بدون اسم واضعها ويظهر من بعض تعابيرها المصرية ان كاتبها اما من القطر المصري او من السوريين او الفلسطينيين الذين كانوا في بلاد مصر وهو مسلم

٢) هو الامير ملحم ابن الامير حيدر اول والٍ من الاسرة الشهابية التي حكمت لبنان تولى فيه من سنة ١٧٣٢ الى ١٧٦١م

٣) هكذا ولعله يريد (الاصل) اي السبب بلغة العامة او هو هنا من القاب الشرفاء

٤) يريد بهم زعماء بلاد بشاره (جبل عامل) وما اليه وهم من بني علي الصغير

٥) يريد المال الاميري فخفّف

ومقدامهم (١ تخلف في الشيخ ظاهر المقصود ذكرهُ

فالمذكورين بيت ابو زيدان كانوا يضمنون من والي صيدا ويدفعوا له الميري فما زال هذا الحال حتى تنبَّل مظاهر الشيخ ظاهر العمر فتصادق مع المشايخ المتاولة (٢ وقد تزوج بنساء كثيرات وخلف ثمانية اولاد(٣: صليبي. وعلي. وعثمان. وسعيد. واحمد. وصالح. وسعد الدين. وعباس. ما عدا البنات. فقامت شوكتهُ ونمت عائلتهُ وتكاثرت بنيه (٤ وبني بنيه واقرباءهُ حتى صاروا مقدار خمساية نفر. من كل قرم معتبر. وعمروا في البارود (٥ قلعة طبرية (٦ وقلعة صفد (٧ مع غير اقلاع (٨ حصينة وابتدأوا يتعاطون بالفجور ويسطون على عكا وصور ويمطلون الاموال الاميرية. واظهروا القساوة وقطعوا الطرق واستقاموا مدة على هذه الحال. فضجر منهم والي صيدا والتزم انه ضمَّن مدينة عكا الى الشيخ ظاهر العمر بيدي معلومة سنوية. وضمَّن صور الى مشايخ المتاولة. وابتدأ الشيخ ظاهر العمر يبني في مدينة عكا سرايا عظيمة الشان ومشيدة البنيان. وسوراً وابراجاً. ويجمع اليه عساكر وانتشرت اعلامهُ في تلك البقعة. واطاعتهُ مشايخ المتاولة. وما زال يزداد في الظهور الى ان انتشى الحرب فيما بين دولة الشنلي (٩ والدولة الروسية. وبقومتها ضعفت قوة الدولة العثملية وفي الاقطار الشامية. فزاد هذا الشيخ في الفجور والغرور حتى انهُ استقوى (١٠ على الباشا والي صيدا. وطردهُ منها وتملكها ووضع يدهُ عليها. وارسل لها حاكماً من

---

١) يريد به الشيخ عمر شيخ ديار صفد والد ظاهر

٢) كانت بدء مخالفته للمتاولة في حين حمل على اثر موقعة سنة ١٧٨١ م اي بعد هيام منها فعُقدت المعاهدة بين ظاهر والشيخ ناصيف النصار في عكا وجددت

٣) كان ظاهر يكنى بابي سعيد فلعل سعيداً اكبر بنيه او انه كان البكر بهذا الاسم وتوفي ثم سُمي آخر باسمهِ

٤) العامة تؤنث الفعل مع جمع المذكر السالم   ٥) لعلها (البعور)

٦) وهي في مدينة طبرية التي امتلكها ظاهر سنة ١٧٣٨م

٧) ذكرها الشيخ الزبوة في (نخبة الدهر) صفحة ٢١٠ طولاً. والشيخ ظاهر رممها بعد ذلك واتخذها معتصماً له في حروبه   ٨) المشهور قلاع جمع قلعة

٩) تحريف (العثملي) بالتركية اي (العثمانية) ويقول بعض العامة العسلية والعسملي بحسب لفظ الثاء (سيناً) بالتركية   ١٠) يعني تغلب واستظهر

عنده باش اغات المغاربة (١. فاستمرَّ الشيخ المذكور سبع سنوات يحارب الوزراء ولم يدفع ميري الى الدولة العلية بل انهُ مداوم الحروب ولهُ عدة وقائع وانتصارات على عساكر الترك وعساكر الدروز والعربان. وفي هذه المدة عمل مصادقة وموافقة مع دولة المسكوب. وكان ذلك بشور وتدبير كتخداي (٢ الذي كان متسلم كامل اشغاله وجميع ماله تحت يده واسمه ابرهيم الصباغ (٣ وهو رجل من اهالي عكا. وهذا كان صاحب عقل وتمييز غير انهُ بخيل للغاية يحب المال. وما يرغب الخير الى احد. ومن زود بخله ما كان لهُ محب ابداً. لا من اولاد ظاهر وعيلته ولا من اهل البلاد (٤. ثم ان الشيخ ظاهر المذكور ما زال يزداد في علوّ المقام. واستمرّ حاكماً في مدينة عكا مقدار اربعين سنة. وطعن في السنّ وما زال الى سنة ١١٨٩ (١٧٧٥م)

ففي اواخر هذه السنة حضر القبودان باشي (٥ حسن باشا بالعمارة لان السلطان عبد الحميد بعد ما عقد الصلح مع المسكوب في سنة ١١٨٧ (٦ تاريخ جلوسه التفت تنظيم البلاد فوجّه الشام اليهِ وامرهُ بعطي نظام سا (٧ . . . فجال حتى وصل الى مدينة عكا في اواخر سنة ١١٨٩ كما ذكرنا: وذلك من بعد موت محمد بيك ابو الذهب ورجوع عساكر المصريين من عكا لمصر بمدة قليلة. فحين وصول قبودان باشي المذكور الى مينة حيفا ضاجت المدينة. وبالحال الشيخ ضاهر ارسل احمد آغا الدنكزلي الذي كان متسلماً في صيدا لعند قبودان باشي لكي يستفهم منه عن سبب حضوره. ورجع بالجواب انهُ طالب مال الميري السبعة سنين المكسورة واستتام خمسة عشر يوماً. وكل يوم احمد آغا المذكور يتوجه الى حيفا الى عند قبودان باشي ويرجع

١) هو احمد آغا الدنكزلي وكان مغربياً اكتع اليدين لكنه شجاع حكيم كان يخدم ظاهراً فوضعهُ متسلماً في صيدا من قبله وكان يعرف اللغة الطليانية كما سيجي.

٢) الكتخدا فارسية بمعنى الرئيس والقهرمان والقيّم على المال وتصرّفوا بها فقالوا كاخية وكيخية وهو اول اتباع الحاكم يساعدهُ في ادارة شؤون ولايته فهو اشبه بالمعاون الآن ويستعمل باوجه اخرى ٣) اصل اسرته من الشوير في لبنان وبقية اسرته الآن في دمشق وبيروت والمهجر ٤) هذا الوصف يخالف ما كتبهُ غير واحد في مديح ابراهيم الصبّاغ

٥) يعني (رئان) او (القبطان) وهو رئيس المراكب والقيّم عليها

٦) الموافقة لسنة ١٧٧٣ م

٧) كذا في الاصل وقد سقطت كلمات لعلها (سامي لبلاد سورية) ونحو ذلك

لعند ضاهر ولم يكن يصير موافقة. ولا على نوع من الانواع. لكون الشيخ ضاهر لم يكن يتنثل ولا يقبل ولا طريقة

ثم قبل حضور قبودان باشي بيومين كان حضر لعكا فرقاطه (١ فرنساوي من طرف دولة فرانسا باوامر اذا كان الشيخ ضاهر يحاصر بعكا ويتحارب مع قبودان باشي. كامل طايفة الفرنساوية الموجودين بها ينزلوا الى الفرقاطة المذكورة ولا يكونوا تحت الحرب. ففي مدة الخمسة عشر يوم المذكورة اقامة قبودان باشي في حيفا قصد قبودان الفرقاطة المذكورة انهُ يكون وسيط في انظام المادة ما بين قبودان باشي وضاهر العمر. فجمع طايفة الفرنساوية الذين بعكا وسار لعند الشيخ ضاهر وتكلم معهُ وانهيه: «اولًا ان المساواة بالمعروف احسن واوفق له. وثانياً القبودان باشي حضر بهذه العمارة من الاستانة العليا التي تكلفت مبلغ مال. فما يصح انهُ يقوم ويرجع فارغ. وماذا يعطي جواب الى الدولة العليا. فاذا الرأي عندي ان كان تقبل وتريد ان اكون واسطة بتدبير تخلص (٢ المادة مع المشار اليه بخمساية كيس. وهذه تنسحب لك من مال ميري السبع سنين المكسورة. وعلى هذه الطريقة تكون صنت بلادك وتثبيت (٣ حافظ مقامك. واظهرت طاعتك الى الدولة ولا يجري عليك خلاف. وان قبلت هذا الرأي ودفعت الخمساية كيس انا اكون ضمين بان يجيك وصول من الدولة العليا من اصل مال الميري المكسور. وربما لم تقبل ضمانتي الكوني لستُ مقيماً هنا. فيوذا طايفة الفرنساوية تضمن على ضمانتي لكوني وان ما جاءك الوصول كما ذكرنا والّا تقبض المبلغ المذكور من التجار المذكورين». فالشيخ ضاهر لم يقبل وصار يتعلّل ان ما عندهُ مال ليدفع. ولما صار بينهم معالجة في الكلام ولم يصير افادة فقال لهُ الكومندان: فاذا يعمل معك حرب. فاجاب: وانا حاضر لذلك وعندي بارود وكلل كفاية. فقال له: من حيث الامر كذلك معي تجار الفرنساوية ملزوم آخذهم عندي للمركب. فابى ضاهر ولم يسمح. وقال: هذا غير ممكن. فللحين انعم الكومندان

١) الفرقاطة ايطاليتها (Fregata) يعني بارجة وتستعملها العامة كثيراً لشيوع اللغة الايطالية بيننا قبل الفرنسية وغيرها من لغات اوربة

٢) تستعمل العامة الياء في اول المضارع والمنى (أتدبر أخلص)

٣) تمَّ عند العامة يعني (بقي). وبعضهم يقول (ضمّ) بالابدال

منهُ غمّاً شديداً. ونزل من عنده بحماقة مع كامل من معهُ. ولما وصل الى باب خان الفرنساوية منعهم الدخول اليهِ . وقصد يأخذهم غصباً الى المركب حسب اوامر سلطانهم. وصاروا يتذللون لهُ ويأخذوا بخاطرهِ لكي يعطيهم مهلة لوقت ان ينزّلوا ارزاقهم وبضايعهم للمركب وبعدهُ يلزم يسافروا فلذلك سمح لهم. وبعدهُ اخذوا الاذن من ابراهيم بتنزيل ارزاقهم المركب . وصار ذلك. وبعدهُ سافروا برّاً بالسرقة. ولم يبقَ منهم سوى ثلاثة من التجار. اثنين في الخان الكبير وواحد في الخان الصغير. واهل المدينة من خوفهم من الحدار والحرب عزّلوا بيوتهم وبضايعهم وادخلوها الى خانات الافرنج لاجل الحماية والصيانة وسافروا من البلد الى القرايا الخارجة عن المدينة. ولم يبقَ سوى الذين ليس لهم مقدرة على السفر

(فلنرجع لما كنا في صدده) فبعدما كومندان الفرنساوي قابل ظاهر ولم يصير افادة ثاني يوم طلع احمد آغا الدنكزلي لعند قبودان باشي وتكلم معهُ ورجع لعند ظاهر وكان واقف امامهُ ابرهيم الصباغ كتخداه. فقال لهُ: يا شيخ ان السادة لم تنصرف الّا بخمسماية كيس. والاوفق دفعها. فاجابهُ ظاهر: ومن اين نحضر هذا المبلغ. فقال لهُ الآغا: ابرهيم يدفعها. فقال الشيخ: ان ابرهيم ما عندهُ ولا عندنا طول مبلغ مال. وكان ظاهر رجل سادج لا يعرف شي. . ومهما كان يقول لهُ ابرهيم يصدقه وهو كان دايماً يفهمهُ ان صار لهُ عندهُ طول اكثر من سبعماية كيس. وظاهر كانهُ يصدق ذلك. وكان الدنكزلي رجل خادم نصوحاً وصعبان عليه هذه الامور. وخايف لئلا تجري بخلاف. فقال للشيخ: سلّمني ابراهيم باشا وبعد ساعتين انا اطلع منهُ اكثر من ذلك. فلما سمع ابرهيم هذا الكلام توانع على الشيخ وترجاهُ ان لا يسمح بذلك فعفى عنهُ. فعند ذلك غضب احمد آغا فضمر على الخيانة(١ وتسليم المدينة الى قبودان باشي وتوجه الى عكه. وجمع كم(٢ بلوكباشي لهُ وافهمهم «ان ظاهر قصد محاربة مراكب السلطان ونحن اسلام فلا يمكنا ذلك. فاذاً روحوا اطلبوا جوامككم(٣ وسافروا». فبالحال طلعوا لعند ظاهر واخذوا منهُ جوامكهم ودبّر آغاتهم(٤ ساروا

---

١) ضمر على الشي، نواهُ وقصدهُ ٢) يعني بعض
٣) الجوامك جمع جامكية بمعنى الراتب والاجرة وهي اعجمية ٤) اي (القاهم)

لعند قبودان باشي؛ وثاني يوم الآغا المذكور توجه لعند المشار اليه. واتفق معهُ بالعبارة(١ ويحضر لينة عكا ويحاربها وهو يسلمهُ اياها. ورجع الدنكزلي استقام (٢ بالمدينة عند الشيخ ليتمم مرغوبهُ. وثاني يوم حضرت العمارة بتمامها وربطت قدام البلد بكل راحة من دون ادنى معارضة. وارسل قبودان باشي واحد جوخدار (٣ من طرفه بتحرير الى ظاهر يذكر فيه هكذا:

« من بعد السلام طلبت اعلمك من سبب حضوري والآن اعرّفك كل شي ايضاحاً وهو حضوري باوامر من الدولة العلية صاغها رب العزة لكي استلم منك مجري البلاد سبعة سنين المكسورة عندك. وبعدهُ آخذ راسك واستلم البلاد. هذا هو سبب حضوري. ولكن لكوني اعرف جيداً زود (٤ حلم ورأفة الدولة العليا وشفقتها على رعاياها سيما على من يكون مطيع الى اوامرها فلذلك ان شئت تدفع لي مال المجري المكسور عندك. وتسلمني مدينة عكا. وانت تخرج الى مواضعك القديمة. وانا من رجوعي الى الاستانة العليا اعرض عن طاعتك وقبولك للاوامر السلطانية ويخرج لك فرمان بالعفو. فاما (٥ من كما سلف منك وترجع الى مدينتك كما كنت وبهذه الطريقة تكون صنت مالك وعرضك ورجالك وحفظت مقامك. ماذا (٦ والا انا حاضر للمحاربة »

فلما طلع الجوقدار لعند ظاهر وقرأ هذا الخطاب زعل واحتمق (٧ ونفر في الجوقدار وقال له: روح قول الى باشتك (٨ من دلوقت (٩ الى ساعة ان ما قام من الينا والا يغرق كامل المراكب. فخرج الجوقدار وتوجه لعند سيده وفهمه الجواب وكان عند الشيخ ظاهر ثلاثة طوبجية(١٠ افرنج بتوع(١١ محمد بيك ابو الذهب معلمين للغاية. دول(١٢ كان حاشهم(١٣ بعد ما رجع لعكا من بعد موت ابو الذهب فكان قبل بيومين اخرجهم من السجن وطيّب بخاطرهم. ولما توجه الجوقدار من

١) لعلها (ان يركب بالعبارة) الخ ٢) يعني: قام:
٣) الجوخدار والجوقدار من يحفظ ثياب السلطان او قفطانه فيقدمه له عند الحاجة وهو وظيفة خاصة
٤) يعني (زيدة او كثرة)
٥) كلمة (فاما) هنا زائدة. او حذف شيء بعدها او تكون تصحيف لفظة (فانا)
٦) ماذا يعني: ماذا تجيب ؟ ٧) يعني حنق وتكدّر
٨) اي الى الباشا الذي تخدمه ٩) كلمة مصرية يعني (هذا الوقت)
١٠) الطوبجية جمع طوبجي وهي نسبة تركية لطوب التركية بمعنى المدفع فيكون معناها المدفعيين
١١) كلمة مصرية يعني (من رجال او من خاصة)
١٢) دُول مصرية يعني (هؤلاء) ١٣) حاشهم اي امسكهم

عنده سلم لكل واحد منهم برج وامرهم ان صار الحرب من المراكب يضربوا عليهم مدافع ويفرقوهم

ثم بعد ما توجه الجوقدار بساعة وكان الوقت بعد الظهر بساعتين ابتدأ القبودان باشي بالحرب وصار يرمي كلل على المدينة بقساوة زايدة وكان شي مهول جداً. واستقام بالحرب تلك ثلاثة ساعات. واما الطوبجية الذين في المدينة يومها ضربوا فقط ثلاثين مدفع من غير زيادة. وجميعهم كانوا طيارين (١. فقط مدفعين اللذين ضربوهم بنشان (٢ الواحد حكم في مقدم مركب قبودان باشي والثاني في مؤخر مركب الريالا (٣ وصار عوار (٤ للمراكب. فساعتها قبودان باشي رفع الحرب لاجل انه يصلح المراكب. واما ظاهر لما بلغه ذلك انعم على الطوبجية بانعام دفي (٥ للغاية. وهو لكل واحد عشرة ذهب محبوب (٦. فلما بلغ ذلك احمد آغا الدنكزلي حضر لعند الطوبجية وتكلم معهم بالطلياني بكل حماقة وافهم ان لا... (٧ يضربوا مدافع ابداً بل انهم يقدموا اعذار. فثاني يوم عند طلوع الشمس ابتدأ قبودان باشي بضرب المدافع واستقام اربعة ساعات ونصف. وبهذه المدة عدة الكلل التي انضربت من المراكب على مدينة عكا سبعة آلاف وخمسين كلة. ولم يصير منها ضرر كبير بل في بعض علات هدم (٨ قليل. والذي قتل في المدينة من المدافع المذكورة رجلين فقط

ثم بوقته طلع احمد آغا الدنكزلي لعند الشيخ ظاهر العمر. وقال له: يا شيخ قم اطلع من البلد وفز بنفسك. فاجابه: لا بد من ذلك وما بقي فايدة؟ قال له: نعم وهذا الاحسن لك. فبالحال ظاهر العمر ارسل الى جماعته لكي يخرجوا من المدينة. واما ظاهر اخرج كامل حريمه وابقى سرية واحدة التي تعوقت (٩ ... تنتمس. وظاهر ما اراد يفوتها خوفاً على عرضه بل تعوق لكي يخرجها معه. وبعد (١٠ كانوا قد اخرجوا

---

١) يعني طيارين هنا (غير مصيبين) ٢) اي باحكام وضبط

٣) نوع من المراكب التركية البحرية ٤) اي تعطيل ٥) قليل

٦) ذهب محبوب من مسكوكات الاستانة على وجه الطغراء وعلى الثاني (ضرب في اسلامبول) والبندقي مثله وقيمة كل منها بين قرشين وخمسة قروش ومنه ما سك في مصر

٧) بياض في الاصل ولعله سقط كلمة (يسددوا) ونحوها ٨) يعني الهد والهدم

٩) لا هنا يعني (حتى) عند العامة

كامل جماعته فخرج هو والسريّة معهُ مع نفرٍ من اقربائهُ . ولما صار خارج المدينة في محلّ يسمّى الرقايق فهناك تقنطر ١) ووقع على الارض والاثنين الذين كانوا معهُ هربوا وتركوهُ . ومن كونهِ كان طالع من المدينة نُهان وبغاية الذل وكان رجل كبير وطعن في السنّ . فلم يصير لهُ همة الى النهوض حالاً . وحضر عليهِ ٢) كام واحد ٣) من المغاربة الذين كانوا قد خرجوا من عنده وتقدّم عليهِ ٤) واحد بلوكباشي وقطع راسهُ وشلّحهُ ثيابه وترك جثته على الارض عريان كما خُلق . واخذ السريّة ودخل الى المدينة . ثم بحال خروج ظاهر من المدينة دخلت عساكر المغاربة المذكورين قبله . ومن كونهم كانوا في المدينة ونظروا ان كامل ارزاق الرعايا دخلت الى خان الافرنج فحضروا جميعهم على الخان وقصدهم نهبه . واما الافرنج فقفلوا الباب وصارت المغاربة تكسر في الباب وكانت ساعة مهولة جداً . وكل من كان داخل الخان قطع الاياس ٥) من الحياة

واما ما كان من قبودان باشي بعدما خرج ظاهر العمر اعطاه الاشارة احمد آغا الدنكزلي الذي كانوا متفقين عليها . وبالحال نزل بعساكره وقبابطين ٦) المراكب وحضروا للمدينة وحينما خرج من الميناء طرد المغاربة عن خان الافرنج . وارسل اعطى الامان الى الافرنج ومن عندهم . ولم يجري ضرر على الخان . وتوجه الى السرايا وساعتها انفردت المغاربة وعساكر الترك على المدينة ونهبوها . واستقام ذلك مقدار ساعتين لبعد العصر نزل منادي من طرف القبودان باشي ينادي بالامن وعدم المعارضة وراقت المدينة . واما المدينة كانت خالية من السكان لان الاكثر كانوا قد هربوا الى البرّ والذين بقوا بوقت الحرب دخلوا احتموا في خان الافرنج ثم بعد ما دخل قبودان باشي الى السرايا وارتاح ٧) طلع لعنده البلوكباشي المغربي وقدّم لبين يديهِ رأس ظاهر العمر وخا ٨) . . . . واما السريّة بقيت عند المغربي وفي تلك الليلة القبودان

١) اي تقنطر وسقط عن الفرس ٢) اي اختلف اليهِ وتردّد عليه
٣) كام واحد عند العامة بمعنى بعض ٤) بمعنى وتقدم اليه
٥) بمعنى (يئس) وقطع الرجاء ٦) جمع قبطان بلغة العامة بمعنى رئيس المركب
٧) كثيراً ما تستعمل العامة ارتاح بمعنى استراح
٨) كذا في الاصل ولعلها (وخادمه)

باشي ارسل راس ظاهر العمر في ظباطه (١ مخصوصة الى القسطنطينية . وثاني يوم احمد آغا الدنكزلي طلب الاذن من المشار اليه في دفن جثة ظاهر وسمح له بذلك ودفنهُ بالمحلّ الذي قُتل فيه

واما كومندان الفرقاطة الافرنساوي نبّه على التجار الافرنساوية وقال لهم : حسب اوامر السلطان كل من عندهُ وداعة الى ابرهيم الصبّاغ او الى كل من يلوذ به وفي ظاهر العمر ملزومين تشهروهُ وتقدموهُ الى قبودان باشي والذي يخفي شي . وفيا بعد يظهر ذنبه في رقبته (٢ لانهُ يخرج من رعاية فرنسا ويبقى المشار اليه له تسلط عليه ويعمل فيه مراده . وثاني يوم طلعت تجار الافرنساوية مع القومندان سلموا على القبودان باشي واكرمهم . ثم انهم اشهروا له الودائع التي عندهم الى ابرهيم صباغ وبالحال ارسل لعندهم الى الخان كتخداي وقبوجي باشي . واستلموا كامل المال الذي موضوع عندهم الى ابرهيم صباغ . وكان جميعه ذهب ستة وثلاثون الف كيس وذلك ما عدا الجواهر والتحف المثمرة الذي لم نفهم مقدارها . وظبط (٣ ايضاً كل مواعل المذكور وكانت مشحونة من اصناف البضائع . فانظروا لهذا المسكين الذي لم (٤ . . . نفسهُ من خمساية كيس لحفظ ماله وحياته وحياة سيده . ومن زيادة طمعه وحبه بالمال خسر كل شي وقتّل سيده وخرب بلاده . واستقام كتخداي القبودان باشي جملة ايام مقيم في خان الافرنج . ويضبط ما هو موجود الى ابرهيم الصباغ ومن يلوذ به والى اقرباء ظاهر العمر وجماعته . وانظبط مبلغ كبير جداً . واما ما كان من ابرهيم الصباغ عندما خرج ظاهر من عكا هو ايضاً خرج ومعهُ خدام (٥ واحد من اتباعه وكان راكباً فرساً عياقة (٦ فوصل الى قرية بعيدة من عكا مسافة ساعة تسمى المزرعة فنزل خارج القرية وقال الى تابعه : ادخل لعند شيخ الضيعة وجيب لي فرس طيبة . فقال له تابعه : هما عندنا وقت لذلك والاوفق ابقى ساير ولا نبعد غير فرس غير هذه . فما قبل . والتزم الخادم يدخل الى الضيعة . وبقي هو وحده في الخارج فصادفت الامور لاجل انفاذ (٧ المقدور

١) الظباطة عبارة اي مركب ٢) اي يقطع عنقه لاجل ذنبه

٣) لفظ الظاء هنا لهجة تركية ٤) كذا في الاصل وقد سقط قوله (لم تسمح نفسه)

٥) الخدام عند العامة يعني الخادم المفرد ٦) مريضة ٧) انفاذ

وفي تلك الساعة اتاهُ اثنان من مشايخ الجليلة الذين هم مشايخ طرشيحا (١ . وكانت عداوة عظيمة فيما بين المذكورين وبين ظاهر العمر والسبب من المذكورين . فصار يتدخل عليهم (٢ ويترجاهم فلم يقبلوا رجاه . وثاني يوم قيدوهُ وارسلوهُ الى عكا الى قبودان باشي فبالحال امر عليهِ بالسجن . وفي تلك الليلة عذّبهُ عذاباً شديداً لاجل ان يقرّوهُ على المال الذي عندهُ . وما كان يستقر (٣ بشي . ابداً . ولا كان عارف ان الودوع عند الافرنج اشتهر الى المشار اليهِ . واما اخيراً من شدة العذاب استقر بألف كيس . وثاني يوم طلبوا تجية الافرنج لعند القبودان باشي . فقال لهم : ان ابرهيم الصباغ حضر وهو في الحبس . والزمهم بأن يسلموا عليهِ فدخلوا لعنده . والمذكور سألهم عن الودوع عندهم فأجابوهُ : انّنا سلمنا كل شي لك عندنا . فاتهمْ غمّ شديد وتلاوم عليهم (٤

والقبودان باشي ارسل واحضر احمد بيك الجزار وعملهُ باشا بطوخين (٥ وسلّمهُ عكا وصيدا وما يليها . وصار اسمهُ احمد باشا الجزار والي صيدا . وهذا لاقصة عجيبة . واما حسن باشا سافر من عكا الى القسطنطينية بكامل العمارة واخذ معهُ ابرهيم صباغ مربوطاً بالحديد . وايضاً اخذ معهُ احمد آغا الدنكزلي . وهو مسافر شنق المذكور الدنكزلي في صاري المركب لسبب انهُ خان سيدهُ فما اركن لهُ

وبقي احمد باشا الجزار بمدينة عكا واولاد ظاهر العمر في الخارج حكام كعادتهم (٦ . واما الجزار قصد انهُ يتحايل عليهم ويظفر بهم فصار يخادعهم ويخاتلهم وأشهر لهم محبة زائدة . واقام الشيخ عثمان الظاهر شيخ المشايخ . واطلق لهم السبيل بأن يروحوا ويجوا الى عكا والى كمل اتباعهم ايضاً . ويقضوا كامل اغراضهم . وكان كذلك . غير انهُ لم يلبث انهُ يجمعهم سويّةً بعكا لكي يظفر بهم وينال مقصوده

١) قرية اشتهر منها الشاعر الشيخ صالح الطرشيحي ٢) اي يتضرع اليهم ٣) يقرّ ٤) اي لوَّمهم ٥) الطوخ ذنب حصان ابيض يعقد على رمح في اعلاه كرة مذهبة من نحاس وهي رتبة تختلف درجاتها

٦) كان كبيرهم علي في صفد . وعثمان في شفاعمر . وسعيد في الناصرة وبرج ابن عامر . وصليبي في طبرية . واحمد في تبنه وعجلون . وكان سعد عمهم في دير حنا . وشقيقهم الاصغر مع والدهم

وفي مبادي ثاني سنة التي هي سنة ١١٩٠ (١ رجع ثانية حسن باشا بالعمارة من القسطنطينية لعكا. وحضر ايضاً محمد باشا العظم الى الشام بعسكره. وابرهيم باشا والي القدس الشريف بعسكره. ونصبوا اوردييهم (٢ خارج مدينة عكا وكذلك طلع معهم احمد باشا الجزار بعساكره وساروا جميعاً مع قبودان باشي قاصدين ليبطشوا في اولاد ظاهر العمر. فارسلوا لهم مكاتيب بكل وداد ورقة وعرفوهم: ان كانوا طايعين الى اوامر السلطان فليحضروا جميعهم ويقدّموا طاعتهم امام قبودان باشي. وينالوا منه الامن والامان ويتسربلوا بالخلاع الفاخرة ويرجعوا الى اماكنهم غانمين الراحة التامة. فلما وصلت المراسيل (٣ تجمعوا كلهم سوية. ما عدا اخيهم الشيخ علي الظاهر لم يقبل ان يكون معهم وعملوا الشور مع بعضهم. ولاجل انفاذ المقدور تحسّن عندهم (٤ ان يحضروا لعند قبودان باشي ويقدموا طاعتهم ويحصلون على راحتهم وساروا جميعهم وهم: عثمان واحمد وسعيد وسعد الدين ومعهم اولاد علي الظاهر حسن وحسين. وحضروا الى الاوردي لعند باشا القبودان باشي واستقبلهم بكل اكرام وامرهم بالجلوس وبعد ما شربوا القهوة أمر ان يقبضوا عليهم. وكان ذلك وانحاشوا كلهم جملة واحضروهم لعكا وارسلهم الى مركبه. وقامت الباشاوات ورجعت الى محلاتهم والقبودان باشي قام بالعمارة من عكا وتوجه الى بيروت فحين بلغ حكامها قدومهُ فرّوا هاربين الى الجبل وحينئذٍ كان حاكمها الامير يوسف الشهابي فحين وصل حسن باشا كتب الى الامير يوسف فرماناً في الامان وانه يدفع الباقي عليه من الميري. وحين وصل الفرمان فبادر الامير يوسف وكتب عرضحال واعرض ما تمّ لهُ مع ظاهر العمر من الحروب ومساعدته الى عسكر الشام وعدم خروجهِ عن طاعة الدولة. ثم اعرض ما تمّ له مع الجزار وان الوما اليه لا بدّ ان يطلب شرّهُ مع اننا نحن طايعين. وارسل لهُ ستماية كيس حرير فقبلها المشار اليه. وارسل الى الامير يوسف تقرير الجبل وبيروت وعاهدهُ ان الجزار ما لهُ معارضة معهُ ونهض من بيروت

وحين بلغ الجزار ان حسن باشا قبل طاعة الامير يوسف وقررهُ على حكم

---

١) الموافقة لسنة ١٧٧٦م ٢) اوردي تركية بمعنى الجيش ويقال المرضي
٣) جمع مرسال عند العامة بمعنى الرسول ٤) ارتأوا او ارادوا

الجبل وبيروت فركب في احد الغلايط (١ وحضر من عكا لبيروت وارسل على البرّ مصطفى كتخداي «قره ملاً» ومعه الف وخمساية عسكري وكان القصد في حضوره لبيروت لسبب الفتنة التي كانت بينه وبين الامير يوسف. فحين بلغ الامير يوسف ذلك حالاً ارسل خبّر الى حسن باشا فرجع اشار اليه بالمسارة لانهُ كان قريباً وطلع الى الديوان فنظر الجزّار في الديوان. فطردهُ وقال لهُ: انا حرّرت تقرير الامير يوسف على بيروت والجبل فما لك معارضة معه. ورجع حسن باشا الى القسطنطينية والجزار الى عكا. وهو مسافر شنق احد اولاد ظاهر العمر في صاري المركب وهو الذي اسمهُ احمد وسبب شنقهِ لانهُ كان يطعن جهاراً في حسن باشا. واخذ باقي اخوته مايسورين (٢ الى القسطنطينية وحصلوا على انعامات من الدولة العلية

واما ابرهيم الصباغ كان وُضع بالسجن في القسطنطينيّة واستقام مدة طويلة. ففي يوم من الايام سمع من السجان ان الوزير صاحب الختام (٣ لهُ ولد وحيد مشوش ولم يكن احد من الحكماء يعرف لهُ علاج والوزير من اجلهِ في غمّ شديد. وكان ابرهيم الصباغ ماهراً في الطب فتكلم مع السجان ان يعرض الى الوزير ويستأذن لهُ ان يشوف (٤ ولده لعل الله يجود بشفاه من يدهِ. وكان كذلك. ولمّا مثل بين يدي الوزير اوعدهُ ان أشفى (٥ ولده ينعم عليهِ باطلاقهِ من السجن. ثم انهُ عالجهُ وبعد كم يوم اجاد المولى على الولد بالشفا الكامل وبهذه الواسطة انطلق ابرهيم الصباغ من السجن وصار يدور في القسطنطينيّة من غير معارضة فلاجل ذلك تحسّب منهُ (٦ قبودان باشي لئلّا يعرض للدولة العلية ويقيم عليهِ دعاوي. فوضع عليهِ رواقيب (٧ في البحر. فاتفق نهار عيد الكبير (٨ عند النصارى نزل ابرهيم الصباغ في قارب بقصد يعدّي (٩ من محل الى محل. فانخاش واخذوهُ الى مركب قبودان باشي وبالحال شنقه في الصاري. وهذه كانت نهاية حياته

واماً ماكان من الجزّار ابتدا يحصّن مدينة عكا. واماً صور بقيت بيد مشايخ

١) جمع غلايطه بمعنى المراكب ٢) اي مأسورين ٣) لعلها صاحب الختم اي (مهردار)
٤) يشوف اي يرى ٥) تستعمل العامة أشفى بمعنى شفى وهمزها للسلب
٦) اي تحذّر منه ٧) جمع راقوب بمعنى مراقب ورقيب
٨) اي عيد الفصح ٩) يعبر

المناولة . وبقي من اولاد ظاهر الشيخ علي بمفرده وكانت ترتعش منهُ تلك الاراضي ولا كان يأوي بلدًا بل دائمًا ناصب اوردييه في البراري وكل مدة في محل . وكان يومئذ واليًا على دمشق الشام محمد باشا العظم . فهذا حضر لهُ من الدولة اوامر وكتبوا لهُ انهُ بلغنا ان علي الظاهر الماضي لم يزل مقيمًا في اراضيك . وهذا شيء ضد رضانا فبحال وصول الاوامر اليك ترسل راس علي الظاهر او ان نأخذ (١ راسك . فابتدأ محمد باشا يدبر طريقة لقتل علي الظاهر . فاستدعى احد رؤساء عساكره وهو محمد آغا دالي باش (٢ وقال لهُ : «اجمع رجالك واحضر لعندي وقت الديون (٣ واطلب مني علايفك (٤ . واظهر الحماقة في الحضر واذا شتمتك اخرج من امامي بصورة مغضبة واركب مع عسكرك . واخرج خارج المدينة لكي يتضح الامر للعال والدون ويبلغ ذلك الى علي الظاهر واجعل لك طريقة للالتجاء عليه وتدبر غاية التدبر في قطع رأسه فاذا فعلت ذلك ينالك مني الانعام الزائد» . وكان الامر كما ذكر . وخرج محمد آغا دالي باش من امام الباشا وبلغ ذلك علي الظاهر فابتدأ الدالي باش المذكور يكاتب علي الظاهر ويطلب منهُ ان يكون في خدامته ولاجل تقود (٥ المذكور صدق بكلامه . وتقابلا الاثنان وتحالفا وتعاهدا على السيف (٦ والمصحف وجعل عسكره لوحدهِ . واما علي الظاهر اطلق لهُ الامر بانه يروح ويجي لعنده كل وقت ان يريد بدون معارضة وكذلك العساكر تختلط مع بعضها

وفي ذات يوم من الايام الشيخ علي الظاهر كان راقدًا في خيمته فهجم عليه الدالي باش بمفرده وقطع رأسه مع ثلاثة انفار من اصحابه . ووضعهُ في خرج وركب حالًا مع عسكره وسار قاصدًا الشام ودخل اليها بعز واكرام . وقدم الراس الى محمد باشا ففرح على التمام مرغوبه وحالًا لبس الدالي باش كركًا (٧ فاخرًا وانعم عليه انعامًا وافرًا . وارسل راس علي الظاهر مع الثلاثة الرؤوس الى القسطنطينية ووضعوهم امام

١) لعلها (يؤخذ) ٢) اي زعيم ٣) لعلها (وقت طلب الديون)
٤) جمع علوفة بمعنى الراتب والاجرة والنفقة
٥) بمعنى تمرُّد وتلك عامية ٦) كذا والصواب (السيف)
٧) الكرك تركية بمعنى الفرو والدالي باش الزعيم

الباب الهمايوني. وصار الى محمد باشا بذلك فخر وشهرة. واما الجزّار كان اعرض واشكى من محمد باشا واوشى عليهِ انهُ قابل عصاة في ارضهِ. وان عصاوة علي الظاهر علينا برأيهِ فلاجل ذلك الزمت الدولة العلية الى محمد باشا بصنع ما ذكرنا. والبعض من رجال الدولة الذين هم من حزب الجزّار انكروا وقالوا: هذا ليس هو راس علي الظاهر. ولاجل ذلك احضروا ولديهِ الحسن والحسين (١ وقالوا لهم: هل تعرفون هذه الرؤوس المقطوعة. فحين نظروا راس ابيهم بكوا. فقال لهم: لماذا بكيتم؟ فاجابوهُ: هذا راس والدنا علي الظاهر. ولا عرفوهُ الّا من كبر عارضيهِ. لانهم كانوا يدعونه ابو سبع شنابات. فتحققوا الامر عليهِ وانقضت دولة ظاهر العمر. وتشتت رجالهُ وانقرضت عيالهُ (٢. وجلس في مدينة عكا من قهر واشكى. وهو الليث الجبّار والوزير القهّار احمد باشا الجزار صاحب المكر والحيل وكانت دولتهُ من اغرب الدول. وهذا المشار اليهِ لهُ قصة عجيبة وامور غريبة لا بدَّ عن سردها في وجه الاختصار وذلك اول ابتداء ظهوره (٣

وقد تمت بعون الله تعالى قصة علي الظاهر (٤ بالمختصر على قدر الامكان والحمد لله الحنان وسبحان مقدر الخلائق ومفنيها. ومميت النفوس ومحييها. ينشي دولًا ويفني دولًا. وهو الحيّ الباقي القيوم لهُ العزّ والمجد على الدوام امين

٢ قصة الشيخ ضاهر

«عن تاريخ مخطوط لنقولا افندي سمان فرّاج»

وفي سنة ١٧٤٠ قويت في برية القدس شوكة ظاهر وهو شيخ من مشايخ العرب وكان في اول الامر يسكن صفد بجانب طبريا. ثم اخذ في الهجوم على البلاد التي تحت حكم عاملي صيدا فتملك عكا وعمّر اسوارها وقعد فيها. وكان يزداد

١) وهذا يخالف قول بعض المؤرخين: «ان الجزار والي عكا قتل ولدي علي الظاهر الحسن والحسين سنة ١٢٨٩ه (١١٧٥م) فاذاق ذريهُ رجاء جبل الشوف فنزل في نيحا»
٢) بقي للزيادنة بقية كما مرَّ في المقدمة ولكنهُ يريد انقراض المالكين منهم
٣) يظهر ان المؤلف وضع تاريخاً (لاحمد باشا الجزّار) كما يفهم من كلامهِ هذا
٤) يشير الى آخر قصة (ظاهر العمر) التي ختمها بحادثة ولده (علي)

قوةً حتى اطاعتهُ مشايخ الجبل ودخلت تحت حكمه عرب البادية . وكان عادلًا في الرعية وساتوا معهم سيرة مرضية . وساعدتهُ القبائل التي في اطراف لبنان التي يقال لها المتاولة . ولما بلغ السلطان ذلك خافهُ واراد ان يمكر به فكتب لهُ يقول : ارجع عن الحرب ودع المداوة فقد ابلغتُك مرادك ورضيت ان تكون نائبي في القدس . وولَّيتُك عكا والناصرة وطبريا وصفد وسائر البلاد التي في تلك الاطراف . وانت امير العرب فصدَّق ذلك وكفَّ عن المحاربة سنة ١٧٦٨ . ثم ان السلطان ولَّى على دمشق الشام عثمان باشا (١ وكان شديد المكر وولَّى اولادهُ الاثنين صيدا وطرابلس (٢ فصار عثمان باشا يظلم رعية الشيخ ظاهر ويطلب خراج للسلطان . فلمَّا رأى ذلك ظاهر بدأ في محاربته . فيوم من الايام عصا ولدان من اولاد الشيخ ظاهر على ابيها فحاربها وغلبها فهربا الى قصر محصَّن في نابلس . فحاصرهما ابوهما وهناك بلغهُ ان عثمان باشا طلع عليه فاصطلح هو مع اولاده . فالتزم لهُ ابنه البكر بتدبير يجيب به ذلك العدو . فاخذ علي معهُ خمساية من خيل العرب وخرج فيهم يقصد نحو الترك وجدَّ في السير حتى دنا منهم قبل طلوع الفجر فوجدهم نائمين في خيامهم وهم في الامان . فصرخ العرب وحملوا عليهم فوثبوا مرعوبين من النوم وفرُّوا منهم هاربين فاغتنمت العرب بغنيمة وافرة واخذوا كلما وجدوا في خيامهم وخابت آمال الاعداء .

فرجع عثمان باشا من دمشق مغلوبًا مقهورًا وخلت خزينته من المال لانه انفق ما عندهُ على تجهيز العساكر . فصار يلحّ على الاهالي في طلب المال فضجت الناس من ظلمه وعصية اهالي الرملة وغزة ويافا وما طوَّعهم الَّا بعد حروب كبيرة . فوقعت البغضة في برية القدس وتنوا حكم علي باشا (٣ عليهم . وكان هذا قد قوي في دياره فاطاعته قلوب اهل جميع البلاد المصرية وتغلب على مملكة المشرَّقة وعصى جلالة السلطان . واستقلَّ بامره وقد خدمهُ السعد في ذلك الوقت لان السلطان كان ماهيًا بمحاربة المسكوب . فارسل علي باشا صاحب مصر الى الشيخ ظاهر يعرض عليه عقد المحبة والاجتماع على عدوِّهما الترك فتعاهدا على ذلك فدخلت عساكر المماليك برية القدس وتملكوا غزَّة ولد

١) يريد عثمان باشا الصادق الذي مرَّ ذكره وسببُ تسميته بالصادق

٢) وهما درويش باشا والي صيدا ومحمد باشا والي طرابلس الشام

٣) هو علي بك الكبير الذي استجار بظاهر العمر سنة ١٧٦٦م وكان من اخصّ اصدقائه وقد ارسل اليه نجدة بقيادة محمد بك ابي الذهب

والرملة. وسمع عثمان باشا بدخولهم اراضيه فبادر في عسكره ليمنعهم عن دخولها. وبينا هو على اهبة السفر اذ اقبل عليه الشيخ ظاهر فعجز عثمان باشا عن حمي يافا ورجع بسرعة الى الشام فخلت برية القدس من الترك وصارت تحت حكم الشيخ ظاهر

وفي تلك الايام دخل برية الشام عسكر جزيل من المماليك المصرية والمقدم عليهم محمد (١) صهر علي بك فقصدا دمشق الشام واحاطوا بها من كل جانب. وساعدهم الشيخ ظاهر بعساكره وعجز عثمان باشا عن مدافعتهم وترك لهم المدينة وقعد مع اصحابه في القلعة (٢) وقد اشرف على الهلاك. وعند ذلك بعث عثمان باشا الى قايد المماليك المصرية بالليل صرة ثقيلة بالدنانير يقول له: ارجع عن محاربتي. فتبرطل قايد المماليك وأمر عساكره بترك المحاصرة فانصرفت العساكر عن محاصرة قلعة دمشق وساروا في حال سبيلهم. فلما رأى الشيخ ظاهر خيانتهم هذه وانهم قد فارقوه وتركوه وحده عجز عن فتح القلعة فرجع الى دياره. فهنأ نفسه عثمان بالنجاة فعاد يجهز العساكر. وبعد مدة قليلة من الزمان خرج الى محاربة الشيخ ظاهر ودخل اراضيه وحاصره في عكا. وجد في المحاصرة حتى صعب الحال على الشيخ وكاد عثمان باشا ان يفتح عكا. فما نجا الشيخ في هذه المرة الا بمساعدة ولديه فقصد جما العرب وهجما على الترك ليلاً فكسروهم وشردوهم فهرب منهم عثمان باشا. ثم جمع الشيخ ظاهر عساكره وحارب الدروز فغلبهم وتملك بلادهم التي تحت حكم الباشا عامل صيدا. ولما بلغ خبر فتوحاته الى السلطان وهو مشغول في الحرب مع روسية صعب عليه الحال فارسل السلطان الى الشيخ يعرض عليه الصلح وقد عزل عثمان باشا وولديه عن ولاية دمشق وصيدا وطرابلس. واما الشيخ ظاهر فقد اضمر في نفسه ان يُدخل في طاعته برية الشام كلها وهو مركن في ذلك على مساعدة علي بك صاحب مصر

---

(١) هو ابو الذهب المذكور آنفاً

(٣) ان قلعة دمشق المعبية قديمة يرجع عهد بنائها الى تاج الدولة تُتُش سنة ٤٧١ (١٠٧٨م) الذي جعلها دار امارة وسكنها عوض القصر دار العباسيين والخضراء دار الامويين وزاد في ابنيتها من جاء بعده مثل شمس الملوك دقاق ونور الدين زنكي وفي زمن العادل اخي صلاح الدين الايوبي جعل لها اثني عشر برجاً وحفر حولها خندقاً ورممها وتنقلبت بها الحال الى ان بقيت على ما هي عليه الآن. ولقد كتبت فيها مقالة مطولة تناولتُها من مخطوطات كثيرة منها (الشمعة المضية في اخبار القلعة الدمشقية) للمؤرخ ابن طولون الصالحي الدمشقي

فبذلك السبب لم يقبل الشيخ ما عرضه عليه السلطان من شروط المصالحة بل استمر على محاربة الدولة وبعد مدة قليلة عصيت اهل مصر على علي بك . فخاف منهم وهرب الى مصر طالباً النجاة لنفسه فأتى الى بلاد الشيخ ظاهر حقيراً ذليلاً فاجاره الشيخ واتاه عنده واكرمه فاقام علي بك في يافا

وسنة ١٧٧٢ قصدت مراكب المسكوب حيفا لتأخذ ماء حلواً . فلما عرف الشيخ ظاهر بقدوم المراكب الى حيفا ارسل الى مقدّم العسكر المسكوبي في تلك المراكب يسأله المساعدة على الترك فاجابوه المسكوب الى ذلك . وكان الشيخ ظاهر في تلك الايام طالباً الى مقاتلة الترك واعوانهم الدروز . فالتقى الشيخ بجيش الترك بجانب البحر بين الساحل وبين جبل لبنان فبدوا القتال . وبعد ذلك قدمت المراكب العسكرية فصارت المسكوب تساعد العرب وتضرب المدافع على الترك وتعامل الدور يرمي القلل[١] . وكان الترك كثيرون والمقدمين عليهم سبعة باشاوات وبعد مدة قليلة غلب الشيخ ظاهر الترك وهزمهم وكان هذا اول ما رأت العربان العساكر العسكوبية . وبعد تلك النصرة رجع الشيخ ظاهر صحبة رفيقه علي بك الى عكا واذ جاءه خبر ان اهالي يافا عصوا عليه توجه مع عسكره الى يافا وحاصرها وما زال يحاصرها حتى مضت ثمانية اشهر ففتحها وردّها الى طاعته . واما علي بيك فلم يطب له العيش بالغربة فتحسّر على مصر وقدّر نفسه[٢] ان يرجع اليها ويحكمها . ولما سمع الشيخ ظاهر اشار عليه بالصبر . وقال : «ان العجلة من الشيطان . فاصبر ليثما تحضر مراكب المسكوب فيعاونوك على اعدائك العاصين عليك» . فلم يقبل علي مشورة الشيخ بل قفل راجعاً طالباً مصر . وبينما هو في البرية طلعت عليه جماعة من المماليك العاصين وقتلوه

وفي ذلك الزمان اتى الى بيروت جزّار باشا قد ولّاه السلطان ولاية بيروت وجبل الدروز[٣] وكان ظالماً فضجّت الدروز من ظلمه وحكمه . فقاموا عليه واجتمعوا بالشيخ ظاهر فخرج هذا بعسكره صحبة الدروز لمحاربة جزّار باشا . وفي تلك الايام

---

١) يريد الكلل فكتبها بالقاف وهي القذائف والكرات جمع (كلّة)
٢) لعلها (فقدّر لنفسه) اي فسوّل النفس
٣) يطلق على جبل الشوف غالباً اسم جبل الدروز لكثرتهم فيه ولاسيما جبل الشوف

قربت مراكب المسكوب من بيروت فحاصرها الشيخ ظاهر من جانب البرّ وحاصرها المسكوب من جانب البحر فبعد مدة قليلة من الايام عجز جزار باشا عن دفعه ففتحت بيروت للشيخ ظاهر وأخذ جزار باشا ومن معهُ أسرى · وبعد ذلك عاد السلطان فولّى عثمان باشا بريّة الشام · فخرج الشيخ ظاهر الى محاربة الباشا عثمان وغلبهُ وهزمهُ · ثم رجع ظاهر منصوراً الى بلدهِ وكان للشيخ ظاهر خزندار (١ يقال لهُ ابرهيم (٢ وكان رجلاً ظالماً يطمع في اموال الرعية فرغبت الناس عنهُ · وصار ظلم ابرهيم سبباً في العصيان · فتأمل الشيخ ظاهر احوالهُ فرآها قد حالت وصعبت عليهِ وما بقي لهُ احد يساعدهُ بعد قتل علي بيك · وما بقت (٣ المراكب المسكوبية تعود الى طرفهِ · فاشتدّ الترك عليه · فعزم الشيخ ظاهر ان يطيع السلطان قبل ان تغلبهُ الترك وتهلكهُ · فارسل رسولاً الى جلالة السلطان يظهر لهُ طاعتهُ ويسلّم لهُ صيدا

واما اولاد الشيخ فلما سمعوا ان اباهم قد قدّر ان يطيع الدولة اغتمّوا لانهم كانوا يؤملون ان يصيروا امراء برّ الشام بعد ابيهم · فصعب عليهم عمل ابيهم فغضبوا عليه وانصرفوا الى العربان · ومنهم من اقام في جبل الخليل · ومنهم من سكن نابلس

وفي تلك الايام قام محمد بيك الذي صار قائداً للماليك في مصر بعد قتلهم علي بيك فخرج لمحاربة الشيخ ظاهر ودخل بريّة الشام وتغلب على غزة ويافا وعكّة · فخاف منهُ الشيخ ظاهر وهرب الى جبل نابلس وكادت دولتهُ ان تزول في تلك الايام وما خلّصه من تلك المصيبة الّا موت محمد بيك لانهُ مات في ذلك السفر · فقوي قلب الشيخ وثبتت نفسه فعاد تلك عكّا · وبينما هو على ذلك اذا بمراكب الترك قد بانت في البحر فتحيّر الشيخ ظاهر وقال لاصحابهِ : يا ترى ما السبب في قدوم المراكب التركية فاننا على صلح معهم · ودعا اكابر عسكرهِ وشاورهم وقال : هل ينبغي ان نقاتل الترك ونمنعهم من النزول على البرّ · فاصطفت عساكر الشيخ ورأوا الترك نازلين من مراكبهم قاصدين البرّ واذا بمقدّم من مقدمين الشيخ ظاهر صاح على عساكرهِ ونهاهم عن معارضة الترك · فطلعت الترك الى البرّ بلا حرب · فلما رأى الشيخ ظاهر

١) الخزندار فارسية بمعنى الخازن
٢) يريد ابرهيم الصباغ الذي سبق ذكر اخباره ٣) اي بقيت

خيانة عسكرهِ وأنّهُ لا يقدر على عدوّهِ طلب الحرب ليفوز بنفسهِ فقتلهُ رجل كان تحت يدهِ. فزالت بذلك دولة الشيخ ظاهر في برية الشام ومصر. وذلك سنة ١٧٧٦ على ايام السلطان عبد الحميد بعد ما كان الشيخ ظاهر يحكم على البلاد مدة اربعين سنة فقلّد السلطان جزار باشا ولاية عكا وصيدا

• انتهت الرسالتان •

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

بيروت في القسم الاخير من القرن العشرين الى يومنا (١٨٦٠–١٩٢٦)

الباب الثالث : بيروت الادبيّة (تتمّة)

وفي ختام هذا الباب يسرُّنا ان نذكر انشاء اوّل مكتبة عموميّة في بيروت. كان الساعي الى تحقيق هذا الامر الخطير جناب الفيكنت فيليب دي طرّازي بعد الحرب الكونيّة بمساعدة رجال الانتداب الفرنساوي لاسيا الجنرالَين الكبيرين غورو وفيغان. وقد تكلّف جناب منشئ العمل عناء ومشاقّ كبيرة ليخرج فكرهُ الى حيز الوجود وتجشّم الاسفار الى فرنسة فاستوهب كثيراً من مصنفات علمائها فزان بها هذا المعهد الجديد وقد اصبح البيروتيّون مَدينين لمنايتهِ في هذا المشروع الجزيل الفائدة

على انَّ بيروت لم تخلُ بعد السنة ١٨٦٠ من مكاتب اخرى خصوصية كان العلماء يمكنهم استرخاص اصحابها لطالعة كنوزها الادبيّة نريد خصوصاً مكتبة الكليتين الاميركيّة واليسوعيّة فالاميركيّة احتوت نحو ٢٠٫٠٠٠ مجلّد كان يغلب عليها الكتب

العلميّة لاسيَّما الانكليزيّة . وكان بينها عدّة كتب عربيّة من مطبوعات سوريّة ومصر ونحو خمسين كتاباً من المخطوطات العربية

واحدث منها مكتبة كلية القديس يوسف اليسوعية تألفت اولًا في مدرسة غزير ثمّ نُقلت الى بيروت سنة ١٨٧٥ . ولم تزل تنمو وتتّسع حتى ضاقت بها خزائنها وقُسمت الى قسمين قسم غربي وقسم شرقي يحتوي اليوم كلٌ منها نيفاً وثلثين الف مجلد هذا فضلًا عن مكتبة اخرى مدرسيّة ومكتبة هندسيّة ومكتبة حقوقيّة ومكتبة طبيّة بلغ مجموع كلّ هذه المكاتب نحو ١٢٠،٠٠٠ مجلد يضاف اليها ما ينيف عن ٣،٠٠٠ مخطوط في اللغات الشرقية الكلدانيّة والسريانيّة والفارسيّة والتركيّة والارمنيّة والقبطيّة والحبشيّة ولاسيا العربيّة في كل صنف من اصناف العلوم الدينيّة والادبيّة والتاريخيّة والطبيعيّة والرياضيّة جمعت من كلّ انحاء الشرق من سوريّة ومصر والعراق والعجم والهند

وحفلت ايضاً في هذه الحقبة الاخيرة من تاريخ بيروت مكاتبُ الكُتبيين فكان اولهم المرحوم ابراهيم صادر منشئ المكتبة العمومية سنة ١٨٦٣ ثمّ تنافس النصارى والمسلمون في فتح مكاتب اخرى فانشأ الاوّلون المكتبة الادبيّة والدوريّة والعلميّة والجامعة والوطنيّة وانشأ الآخرون المكتبة الاهليّة والانسيّة والعصريّة . وكان معظم هذه المكاتب تقتصر على بيع المطبوعات الوطنيّة السوريّة والمصريّة وقلّما تستحضر المطبوعات الشرقيّة الجليلة المطبوعة في اوربا

الباب الرابع : بيروت الاقتصاديّة

ليست مدينةٌ نالها من الرقي الاقتصادي ما نال بيروت من السنة ١٨٦٠ الى يومنا فانّ الوسائل المتعدّدة التي أُنشئت في هذه المدّة لتعزيز تجارة بيروت وترويج معاملاتها مع الداخليّة ومع البلاد الاجنبيّة وتحسين امورها الصحيّة بلّغتها درجةً من التقدّم لم تعرفهُ في الاجيال السابقة حتى في عزّ مجدها في عهد الرومان . والفضل في ذلك كما هو معلوم للدول الاجنبيّة ولاسيَّما لفرنسة

﴿الطرق والسكك الحديدية﴾ واوّل ما سمح لبيروت ان توسّع نطاق اعمالها الطريق التي نالت شركة افرنسية سنة ١٨٥٧ الرخصة بفتحها بين بيروت ودمشق وقد

نجزت بانشاط وهمّة المسيو دي برتوي (M. de Perthuis) سنة ١٨٦٣ فكانت عربات الشركة تقطع تلك المسافة كل يوم بإثنتي عشرة ساعة فاصبحت بيروت فرضة دمشق. وهذه الطريق بعد اصلاحها لا تزال الكارات تنقل عليها البضائع وتقطعها العربات ذهاباً واياباً واليوم أصبحت مرّ السيّارات والاوتوموبيلات التي بثلث ساعات تقطع تلك المسافة البالغة ١١٠ كيلومترات

على انّ تلك الطريق مع فوائدها الجمّة لم تكن لتفي بحاجات التجارة. حتى تألّفت شركة أخرى عثمانيّة بالاسم فرنسويّة بالفعل فباشرت بالسكة الحديديّة في اواخر سنة ١٨٩٢ بين بيروت ودمشق ثمّ دُشّنت في شهر آب سنة ١٨٩٥. وهذه الطريق ضيّقة الاسلاك مسنّنة يبلغ طولها ١٤٠ كيلومتراً وتبلغ الى ١٤٨٦ متراً في اعالي لبنان وقد أدّت لبيروت خدماً لا تُحصى لاسيّا اذ اتّصلت بسكة دمشق الى مزيريب وحوران التي كانت نجزت سنة ١٨٩٤ ثمّ اتّصلت بسكة رياق الى حماة وحلب (١٩٠٢ـــ١٩٠٦) وبسكّة الحجاز وفرعها الى حيفا

ثمّ فُتحت عدّة طرق للعجلات في لبنان في سواحله وأعطافه اتّصلت كلّها ببيروت فزاد بذلك نفوذها وخصوصاً لمّا أُنشئت طريق الترامواي سنة ١٨٩٨ بينها وبين المعاملتين. والاملُ معقود بان تمدّ هذه الترامواي الى طرابلس شمالاً والى صيداء جنوباً بل تتّصل بسكة حيفا فتصبح بيروت على قاب قوسين من فلسطين ومصر

وفي الوقت عينه نالت شركة بلجكية تسيير عجلات الترامواي في انحاء المدينة فقرّبت المسافات بين اطراف البلد حيث تسير من نهر بيروت الى النادرة ومن فوق الشبّاك والبسطة الى نواحي البحر. فزاد بذلك عدد المتألّفين من لبنان فيسترطنون بيروت او يتردّدون اليها

﴿المرفأ﴾ وكما انّ بيروت مدينةٌ لفرنسة بانشاء الطرق المتّصلة بها كذلك يعود الى فرنسة الفضل بفتح مرفإها الواسع. فانّ المرحوم يوسف بك مطران باع من شركة طريق الشام الفرنسويّة الرخصة التي نالها لذلك بفرمان الدولة التركيّة سنة ١٨٨٧ فتألّفت لجنة لمباشرة العمل برأس مال يبلغ خمسة ملايين فرنك فابتدأوا بالعمل سنة ١٨٨٩ جرياً على رسم المهندس غاريتا (M. Garetta) وقد تمّ فقط في السنة ١٨٩٥ لما لقيته الشركة من العوائق من جهة تركيّة وعمّالها. وسعة المرفإ تبلغ ١٦ هكتاراً وعمقه من

ثمانية امتار الى ١٢ متراً في وسطهِ ومن ٣ الى ٥ امتار قريباً من الرصيف . فيمكن كبار السفن ان تدخل وسطهُ لكنها لا تستطيع ان تفرغ السلع تواً على الرصيف . وبقيت الشركة عدة سنين لا تربح من واردات المرفأ ما كانت تؤملهُ لارتفاع التعرفة المفروضة على المراكب الراسية فيهِ . ثمَّ تحسَّنت امورها وزاد اقبال الشركات التجارية على الرسوّ في المرفإ . وبعد ان خمدت حركتهُ في ايام الحرب عاد اليوم الى نهضة جديدة حتى مسَّت الحاجة الى توسيعهِ والشركة حاضرة تهتمُّ بذلك ولا يلبث المرفأ ان يجاري اكبر مرافئ البحر المتوسط . ولهُ في رأس بيروت منارة جميلة بناها سنة ١٨٦٢ مهندسون فرنسويون

﴿ جرّ مياه نهر الكلب ﴾ كانت بيروت تستقي مياهها من آبارها الواسعة التي اليها يُنسب اسمها ولا تزال آثارها باقية حتى عهدنا . إلّا انَّ تلك الآبار مع وفرتها لم تكن لتكفي حاجات المدينة من شرب ونظافة وسقي جنائن ورش طرقات . ثمَّ انَّ تلك الآبار المجموعة من الامطار كانت تجري اليها مياه ملوَّثة بالجراثيم الفاسدة التي كانت تنشر بين اهلها من وقت الى آخر الاوبئة الجارفة من حُمّيات تيفوئيدية وهيضة وهواء اصفر وطاعون

وكان اوَّل من فكَّر في تموين بيروت بالمياه المهندس الفرنسوي المسيو تفنين (M. Thévenin) فألَّف لذلك شركة بدأت باستحضار لوازم العمل سنة ١٨٧٥ وبناء حواجز واقية عند نهر الكلب على ١٣ كيلو متراً من بيروت وادوات لتصفية المياه ودفعها الى خزَّان على مقربة من كنيسة مار متري . وفي السنة ١٨٧٦ خلفتها شركة انكليزية تولت هذا العمل واستثماره بعد ان باعهُ منها المسيو تفنين . فتولَّى الانكليزي مرتندال (M. Martindale) تدبيرها برأس مال بلغ ٣،٦٢٨،٨٠٠ فرنك . واخذت توزّع المياه على بيروت سنة ١٨٨٦ . فكانت هذه النعمة من اكبر نعم الله على المدينة واهلها فكفت عنهم معظم الاوبئة الفاشية . وما مرَّ على الشركة خمس عشرة سنة حتى بلغ ربحها السنوي الخالص ٢٥٠،٠٠٠ فرنك . ثمَّ زاد على ذلك فجدَّدت رخصتها عند نهاية معاهدتها . وبعد الحرب اقامت خزَّاناً جديداً فوق الاشرفية بحيث تستطيع رفع المياه الى اعلى بيوت بيروت وجهاتها

﴿ الغاز والكهرباء ﴾ وممَّا زاد في محاسن بيروت انشاء شركة الغاز التي تمت

نوعاً من ظلمات بيروت ثمّ عقبتها شركة الكهرباء التي جعلت لبيروت حظّاً جديداً من الحضارة العصريّة

﴿التجارة﴾ انّ رقيّ البلاد الذي يُعرف خصوصاً بتجارتها ومن هذا القبيل قد بلغت بيروت مبلغاً لا تجاريها فيه غيرها من مدن الشام منذ السنة ١٨٦٠ . فانّ السفن الاجنبيّة كانت تنقل اليها كلّ محصولات الدول الاوربية ومصنوعات اهلها من كل صنف من اصناف الاعمال والمخترعات الحديثة في ضروب الفنون . وكانت هي من جهتها تُرسل الى انحاء البلاد كلّ صادرات بلاد الشرق التي كان تجّار الداخليّة يرسلونها الى بيروت فتُنقل منها الى البلاد الغربيّة . وقد سبق انّ تجارة بيروت كانت في القسم الاول من القرن التاسع عشر راجت رواجاً كبيراً فبلغت الواردات اليها نحو ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ من الفرنكات والصادرات منها نحو ١٦،٠٠٠،٠٠٠ فما بُني مرفأها ومُدّت سكّتها الحديديّة حتى بلغت بعد حين ضعف هذه الكميّة .

وقد ساعد على هذا النجاح انشاء المصارف (البنوكا) في مقدّمتها البنك العثماني وبنوك اخرى منها اجنبيّة ومنها وطنيّة كانت تُسلف المال التجار بفائدة معلومة فتمكّنهم من توسيع نطاق اشغالها . ثمّ اخذت عدّة بيوت تجاريّة وطنيّة تتوسّط لاستحضار السلع الاوربيّة بصفة كومبيسيونجيّة

وكذلك حصلت معاملات مع بيوت تجاريّة في حواضر الدول الاوربيّة كانت تُبادل محصولات بلادها من محصولات الشرق

وبعد ان خمدت الحركة التجاريّة في ايام الحرب تحسّنت نوعاً بعد وضعها أوزارها . وقد استفادت بيروت خصوصاً من المعرض الذي أُقيم فيها سنة ١٩٢١ حيث ظهرت للعيان اصناف محصولات الوطن مع محصولات البلاد التي تعامل سوريّة . ولولا الازمة الاقتصاديّة التي تشمل حاضراً انحاء المعمور وهبوط سعر الفرنك والفتنة الدرزيّة لكانت بيروت في اوج الحضارة والدليل عليه ان الاحصاء الرسمي في السنة السابقة للحرب ذكر ان الواردات التجاريّة لسوريّة بلغت ١٢٥،٠٠٠،٠٠٠ فرنك والصادرات ٦٠،٠٠٠،٠٠٠ امّا في السنة ١٩٢٠ بعد الحرب فازدادت الواردات الى ٤٧٦،٠٠٠،٠٠٠ ف والصادرات ٨٠،٠٠٠،٠٠٠ ولنا على ذلك شاهدٌ في حركة مرفأ بيروت الدالّة على نجاح متواصل وارباح وافرة حتى في السنة الحاضرة

﴿ الصناعة والزراعة ﴾ استفادت الصناعة في بيروت بما اتاها في هذه السنين الاخيرة من الادوات الاوربية ومن محصولات البلاد . فأنشئت فيها وفي جوارها معامل الحرير التي اخذت تسير في تحليل الحرير على اسلوب الفرنج

ومثلها الحياكة والتطريز للمنسوجات قد كان للطرائق الاوربية تأثير محسوس في صناعة هذه الانسجة لاسيا بواسطة راهبات المحبة اللواتي انشأن معاهن سنة ١٨٦٢ فبلغن من استحضار نحو ٥٠٠ متر من الانسجة الحريرية البسيطة او الملوّنة

وكذلك اشغال المخرّمة والدانتلات أُنشئت في بيروت حتى بلغ ما أُرسل منها الى اميركة قبل الحرب ما يساوي ٢٠٠٠٠٠ ليرة

وأُنشئت ايضاً معامل لاثاث البيوت واجهزتها الفاخرة اخصّها في بيروت محل الخواجا توزي ومعمل الخواجا الياس السيوفي الذي استحضر لذلك الادوات المخترعة في اوربة واميركة

ودخلت بيروت معامل أُخرى مستحدثة على الاساليب الاوربية كالمطاحن البخارية وكمامل الجليد الاصطناعي ومعامل لقاذف التبغ والمعامل الفخّارية وتجدّدت كذلك السكافة والحدادة والنحاسة وتوفّرت فيها الدرّاجات والسيّارات والاوتوموبيلات

وكذلك اشتغل اصحاب البناء في بيروت بكل لوازم هذا الفنّ من انشاء مقالع واستحضار ضروب الحجارة الوطنية والاجنبية وصقل الرخام ونقشه وصنع الكلس والقرميد ولنا عدّة آثار بنائية تشهد لاهلها بحسن الذوق وصواب النظر لتطبيقها على المظاهر الجوّية من حرارة وبرودة ومهبّ الرياح ومناظر بهجة بينها قصور فخمة ودور امراء وبنايات شرقية الهندسة كساعة بيروت واسواقها الحديثة

وما قولنا من المطابع فانها بعد السنة ١٨٦٠ تعدّدت فاناف عددها على الثلثين كانت في مقدّمتها مطبعتنا الكاثوليكية والمطبعة الاميركانية مع ما أُلحق بها من المطابع الحجرية والادوات لاستحضار الايات والأمّهات ولسبك الاحرف . وذلك ما جعل لبيروت شهرة واسعة في البلاد بحسن مطبوعاتها وبجمال حروفها

وكلّ يعرف انساع فنّ التصوير الذي قبل السنة الستين لم يكد يُعرف له اثر في بيروت واليوم اصبح شائعاً حتى انّ بعض المجلّات تصدر اليوم فيها مصوّرة باتقان وربّما عُرضت هذه الصور في معاهد السينما

على انّ كل هذه الصنائع مع ترقيها لا تزال في احتياج الى مزيد التحسين لتجاري المصنوعات الاوربيَّة

اما ﴿ الزراعة ﴾ فانَّ نصيبها دون نصيب الصناعة في الترقي وان لم تُحرَم منهُ تاماً . فانَّ حدائق بيروت واراضيها المزدرعة قد زادت خصباً بما استمدَّته من مياه نهر الكلب المستقي . وكذلك مياه اخرى تجري الى المزروعات من نهر بيروت وبعض العيون المجاورة للبلدة . وهذا ما وفَّر البقول والحبوب في اسواق المدينة

وقد نمت خصوصاً في بيروت وارباضها انواع الاشجار المثمرة فترى وسطها وحولها اصناف الاشجار المثمرة منها الاثمار الوطنيَّة كالليمون والتفَّاح والاجَّاص والمشمش والدراقن والتين والخرنوب . ومنها اجنبيَّة تأهَّلت منذ بضع سنوات في تربة بيروت بعد ان انتقلت اليها من البلاد الغربيَّة او من اميركة كالموز والماندارين (يوسف افندي) والقشطة والتوت الفرنجي (fraises) والاكي دنيا

ومن اشجار بيروت التي تزين سواحلها شجر الزيتون الذي يمتدُّ جنوبيها الى بضعة اميال ويُستخرَج منهُ زيتها الفاخر . وكذلك الكروم التي تتلألأ تلالها ومن عصير ثمارها الخمر البيروتيَّة التي اشتهرت منذ عهد الرومان

وعلى رأسها تتمايل اشجار النخل بسعفها المرموز به الى الظفر . وفي جهتها غابات الصنوبر التي تغنَّى بها قدماء الشعراء

فمن تعدُّد اصناف هذه الاشجار يلوح غنى تربة بيروت . لولا انَّ المزارعين لثبوتهم على اساليب الحراثة القديمة لا يحصلون على ما يناله ارباب الزراعة في اوربَّة بمراعاتهم للاصول الفنيَّة التي وقفوا عليها بالتجربة ودرس احوال التربة واصلاحها

هذا مُجمَل ما يقال عن بيروت الاقتصاديَّة . ولا شكَّ بانَّ عاصمة لبنان مع الامان وانتظام الاحوال وهمَّة ارباب الاعمال جديرة بان تُصبح من اغنى بلاد الله وتجاري اكبر المدن بخصبها ورفاهها زادها تعالى رقياً ونموّاً وهو السميع المجيب

(تمَّ)

⟵ تنبيه ⟶ انَّنا قد عوَّلنا على نشر هذا التاريخ على حدة فنضيف اليهِ الفهارس الواسعة

رحلة الى شمالي لبنان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني (تابع)

٣ دير سيدة ايليج (ميفوق) ووادبه

غادرنا دير كفيفان بعد ان قضينا فيه ثلاثة ايام الى دير سيدة ميفوق الذي يبعد عنه نحو ساعتين ونصف ساعة . وهذا الدير قديم الاجيال متقادم العهد . لكنّ كرّ العصور وصروف الحدثان وتوالي الاضطرابات والنكبات على البلاد لم تترك لنا من تاريخه سوى النزر القليل . قد سكنهُ في سالف الزمن البطاركة والرهبان العبّاد ثمّ هجروه بسبب ما نالهم من العسف والجور ومظالم الحكّام الذين أنزلوا ببلاد جبيل والبترون كل ضروب المغارم والفواجع فاضطرّ من نجا من اهاليه الى النزوح عنه الى بلادٍ لا تزهق فيها الارواح ولا تنزل بساحتها النوازل والخطوب . وقد ألمع المؤرخ العلّامة الشهير البطريرك اسطفان الدويهي الى هذه الحوادث الدامية في تاريخهِ المعروف

ولمّا قبض الامير يوسف الشهابي على زمام الحكم هالهُ ما رأى من الخراب والدمار الذي حلّ بالبلاد وحار في اعادة اهاليه اليه وتوطيد الامن والراحة في ارجائه . فاشار عليهِ مدبّرا شؤونهِ الشيخان الحكيمان سعد الخوري وسمعان البيطار المارونيان ان لا سبيل الى الفوز بأمنيّتهِ الّا باقامة الرهبان اللبنانيين فيه وتمليكهم خرائب الاديار والكنائس . فاستصوب الامير رأيهما واستدعى رئيسهم العام الاب اقليموس الزرعاني وملّكه بموجب حجّة مؤرخة سنة ١١٧٩ هجرية الموافقة ١٧٦٥ مسيحية خرائب اديار سيدة ايليج وحوب وكفيفان وانطوش جبيل وقفاً من املاك الحكومة اللبنانية الاسلامية

فسكن الرهبان هذه الاديار ونشطوا الى عمارها والاعتناء بحراثة اراضيها ولم تزحزح عزيمتهم عن الاستقرار في هذه الاماكن المعارك والاهوال التي صادفوها . وما دري بهم الولاة حتى عادوا الى مواطنهم مستأنسين بجوارهم متكلين على سواعدهم

فعمرت القرى على تتابع الايام واهلت الديار بسكانها وتوطّد حبل الامن والراحة

وقد اطلعنا على ما كتبهُ الاب يوسف نودار اليسوعي عن دير ايليج وواديه وهو فصل شائق رأينا تعريبهُ لفوائدهِ قال :

« وادي ايليج قائم في خفضةٍ من الارض بين تلالٍ مستديرة تذود عنه هبات الرياح الشمالية والجنوبيةً. ويتفتّح الشرق امامهُ عن شبه مذبحٍ طبيعي تصلهُ بالافق درجات الآكام. وقد زيّنتهُ الطبيعة بنضارة المروج والمياه الغزيرة فلا يخشى جفاف الاراضي التي تطوّقهُ من كل ناحية ولا جدب للتربة لان الينابيع تنساب اليها فتنمي الشجر والنبات وتُكثر نتاج الارض

وبالقرب من الوادي جنوباً جلس دير ميفوق الجميل كملك على عرشهِ لابساً حلّة قشيبة بيضاء. كأنَّ آجرَّهُ كتلٌ من الزمرّد على كُدسٍ من الثلج وهو يبتسم للبحر من أروقتهِ العربيةِ ذات العواميد البيضاء كالمرمر وتطوّقهُ البيوت والاشجار الباسقة والطرق المتشعّبة

« وعند رأس الوادي وراء ستار من الحور والصفصاف والجوز يرى الناظر قبّة برجٍ صغيرة خيّم عليها السكوت قائمة على حجارةٍ قديمة تكتنفها الاعشاب وقد انسلّ بعضها اليها. وعلى قيد أذرعٍ منها اطلال دارسة. وبقايا سلالم واروقة تقادم عهدها وشهدت وقائع شتى دامية حدثت في ذلك المكان. وجنوبيّها حوض واسع ثمَّ جسر صغير يُعبر عليهِ الى مغارة ينبثق منها ماء بارد زلال وهي المعروفة بمغارة سيدة ايليج

« يجلس الزائر هناك منفرداً كأنهُ في قفرٍ مع ان الحياة لا تبعد عنهُ إلّا خطوات. فلا يسمع إلّا خرير الماء وحفيف الشجر وتغريد العصافير ونقنقة الضفادع ، ولا يشعر إلّا بالنسيم البليل يلمس وجههُ ويداعب اغصان الحور والجوز. واذا ما رفع بصرهُ الى العلاء يرى ذاتهُ بين آكامٍ شهباء تحرسها الاشجار المتنوّعة ، ولا يقف إلّا على سماء صافية مستديرة مشكّلة كأنهُ في وكنةٍ محصّنة لا مخرج للنفس والاعين منها إلّا للستقرّ على بساط الرقيع. وقد يخيل اليه ان لا حياة في ذلك الوضع ولا قلب ليختلج. ولكن اذا ما مكث مدّةً مراقباً يرى قلوباً تضطرب وجوارح تتحرك ووجوهاً يلمع عليها بريق المسرّة. لان بين تلك الانتقاض مزار سيدة ايليج حيث

تناب الحياة والمجانب انسياب الماء من المنارة بحرمة احد الرهبان. لان ذلك المكان مشهور عند الموارنة وله ماض مجيد ويحبونه حبهم القربين

• هناك سكن البطاركة سنين عديدة وقاسوا امرّ العذاب بالقرب من العذراء لان حول ذلك المعبد وفي تلك الزاوية التي يظن زائرها ان هدوءها ما عكّره اضطراب قد سُمعت قعقعة السلاح وشُوهد بريق الاسنة وتفجرت الدماء واتّقد اللهيب حتى انه ما وُجد قط في لبنان إلّا امكنة قليلة كانت حالتها اكثر اضطراباً وصعوبة من ايلج

• ان تاريخ ايليج غامض وسبب هذا الغموض كثرة الاقاصيص التي تناقلتها الالسنة ولا رابطة جلية تربطها. وتقلبات الحوادث أثرت عليها حتى اصبحت لحمتها بعيدة المنال

كتب احد السيّاح : ان ايليج كانت هيكلاً للزهرة ثمّ جُعلت كنيسة لمريم باسم سيدة الطيارة (١

وكتب جبرائيل القلاعي في الجيل الخامس عشر : ان هذه الكنيسة (معبد ايليج) قد شيّدها الرسولان بطرس وفيلبُّس (٢

• واما التاريخ فترتقي آثاره الى بداية الجيل الثاني عشر. والاوراق الكثيرة المحفوظة في الدير والكتابتان المرقومتان على جدران الكنيسة تبيّنان قدمية المعبد (٣ وبحسب

١) قال الاب شابيون (في الرسالات الكاثوليكية ١٨٦٩ ص ١٢) : ان جمال موقعها (ايليج) ورباييها وكثرة الخرائب التي تكتنفها تذكرنا باحد الهياكل القديمة. ولكن ما من أثر يثبت ذلك

٢) كتب جبرائيل القلاعي اسقف قبرس سنة ١٤٩٣ الى مواطنيه اهل لحفد : «ان ايمان الكنيسة الرومانية كان ايماننا ووطننا منذ شيّد بطرس وفيلبُّس كنيسة السيدة بالقرب من لحفد.» وبحسب التقليد ان بطرس فيلبُّس هما الرسولان

٣) احداها باللغة السريانية موجودة فوق احدى الطاقات ، والثانية باللغة السريانية ايضاً ولكنها بالخط اسطرنجيلي فوق باب المعبد

ترجمة الاولى : «باسم الله الحي الازلي سنة ١٧٠٦ سيحية قد رُمم هذا الهيكل الاخوان الكاهنان عمُون ومايلا وقد كان شيّده البطاركة بطرس واريا ويعقوب ويوحنا سنة ١٠٢٠ »

ترجمة الثانية : «باسم الله الحيّ الازلي سنة ١٥٨٨ يونانية (١٢٧٦ م) قد تمّ (هنا رسم

التقليد ان البطاركة الموارنة رغبةً في الاقتراب من الصليبيين القاطنين السواحل البحرية تركوا النجاد بانوح المرتفعة سنة ١١٢٠ وهبطوا الى وادي ايليج وهناك بنوا او رمّموا ديراً على انقاض معبدٍ قديم لمريم العذراء (وربما كان هذا المعبد من اصل بيزنطي) يُكرمهُ الاهلون على ما يظهر. لان المركز البطريركي اتخذ حالاً اسم « دير مقدس لسيدة ميفوق القديسة مريم »

« وفي سنة ١١٢١ سكن ايليج البطريرك بطرس (١ الذي كان راهباً وحبراً ساذجاً وفقيراً يتسّم (ما عدا ثوبه الرهباني) بالعمامة المخملية ويلبس الانسجة الزرقاء والبطرشيل الرقيق وصليب الصدر تمييزاً له عن سواه . واما بطانته من رهبان واساقفة فكانت تشتغل بنسخ الكتب وحراثة الارض وادارة الامور الزمنية . وقد كتب احد هؤلاء الرهبان في ختام نسخة :

« انا الراهب الفقير المنسّى سمعان قد كتبتُ هذه الاسطر في هذا الكتاب لابينا الطوباوي بطرس بطريرك الموارنة الساكن في دير ميفوق المقدس في وادي ايليج من معاملة البترون »

« وبعد قرنٍ ونصف اي سنة ١٢٧٦ جُدّد بناء الدير . وهذا يتضح من الكتابة الاسطرنجيلية الجميلة الموجودة فوق الباب :

« باسم الله الحي الازلي سنة ١٥٨٨ يونانية قد انجز عمار دير ام الله مريم صلاتها معنا امين (٢ »

« وفي هذا التاريخ اضحى تقدّم الموارنة محسوساً . فبعد ان تملّكوا بلاد البترون

صليب في طرفي الكتابة السريانية : بك نضرب اعداءنا وباسمك نطأ مبغضينا بارجلنا) بناء دير أم الله صلاتها تحفظنا امين " بيد الرجال الخطأة داود . د . . والقديس بطرس ويوحنا » .

١) هو « بطرس » المذكور في الكتابة السريانية الثم الاسطرنجيلية

٢) السماني (المكتبة الشرقية ج ١ ص ٣٠٧) سنة ١٩٣٢ يونانية (١٢٢١م)

٣) ان بطاركة الموارنة الذين فقد التاريخ آثارهم يقيمون في ميفوق قرب البترول وهم : يعقوب ودانيال الحدشيتي ولوقا البنهراني وسمعان ويوحنا وجبرايل حجولا . . . (المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ جزء ٣ ق ٦)

وجبيل انتشروا في المقاطعات البعيدة نحو قبرس والقدس فبنوا في كل مكان كنائس وغيرها . وهذا يظهر من الصور المرسومة على الجدران والكتابات وحجارة الفسيفساء .

• على ان هذا الامان لم تطل مدّته فكان اشبه بنهار يوم جميل عقبته ليلة مظلمة . دُحر الصليبيون فما كادوا يغيبون عن بلادنا حتى صفرت زوابع الاضطهاد على خلفائهم الجبليين الامناء . فغزا المماليك لبنان مرّتين وأوقفوا توسّع الموارنة فأجبر هؤلاء على التقهقر الى الاماكن المرتفعة . وشرع بطاركة ميفوق ينظرون الى مضايق تنورين وجبل الميحال

• وفي سنة ١٣٦٧ انتقاماً سلطان مصر شعبان الاشرف من ملك القدس بطرس اللوزنياني الذي انتزع منه الاسكندرية فسيّر عسكراً جرّاراً على مملكة ارمينية اللاتينية الصغيرة فاجتاحت العساكر الاسلامية لبنان الذي كانت تتهمه بمساعدة الغربيين . وهبطت كتيبة من المماليك بغتةً الى ايليج اذ كان الشعب يحضر القداس الالهي فذُبح الرهبان والبطريرك عند تقدمة البتول . ولم يكن هذا البطريرك إلّا جبرائيل حجولا الذي يحسبه الموارنة شهيداً (١ فانتقل خليفته داود يوحنا الى فجاج حردين

• وفي سنة ١٤٠٤ عاد البطريرك يوحنا الجاجي الى سيّدة ايليج لانه كان يحبّ مزار البتول كثيراً وقد اوصل غرفته الى المعبد بسلّم لم يزل حتى اليوم لتسهل عليه ممارسة اعمال العبادة . غير انه بعد مدّة قليلة أُجبر على الهرب

• وسنة ١٤٣٧ أُرسل نائب الى مجمع فلورنسا فرا جوان رئيس الفرنسيسكانيين في بيروت فعاد بعد ثلاث سنين حاملاً الى البطريرك درع التثبيت ورسالة من البابا اوجانيوس الرابع . فسرّت الشبيبة من اللبنانيين الملاقاته بعظمة وجلال فاثارت هذه الابّهة وساوس السلطان الذي صبّ غضبه على الجبل واوغرت صدره على الموارنة

• وكان المسلمون يعتقدون ان البابا هو المحرّك للحروب الصليبية وان في المجمع الذي عُقد في فلورنسا نيّاماً لعقد محالفة جديدة لمحاربتهم . ولما علموا ان البطريرك قد ارسل من يمثّله في المجمع تلقّى حاكم طرابلس امراً من السلطان بارسال كتيبة من الجنود الى ايليج للقبض على البطريرك . لكنّ العناية الالهية لم تسمح بان

---

١) عن تاريخ لبنان المخطوط للاب مرتينوس (صفحة ٢٣١)

يُفجع الموارنة برئيس دينهم فعرف البطريرك بما يُخبئ له فالتجأ الى مغاور قنوبين الحصينة. غير ان عدداً وافراً من الرهبان والقرويين ذُبحوا ودُمّر المعبد (١. وبعد المماليك قام الاتراك

• سنة ١٦٠٧ قد جابت ثورة جنبلاط باشا وفخر الدين العساكر العثمانية الى لبنان فعملت كلّ شيء طاعةً لقادر ولا سيما الاديرة وطافت انهار الـدماء. فغادر الرهبان ميفوق حيث احتلّ عدد من هؤلاء الضواري مدّة خمسة اشهر دنّسوا في خلالها كنيسة العذراء بفظاعةٍ وقحةٍ لم يسبق لها مثيل. وما جلوا عن ميفوق حتى رُممت ايليج وازهرت وجعل الثاولة الحماديون حكّامُ البلاد ميفوق مركزاً لحكومتهم. وقد كانوا يحترمون بيت مريم. وكان احدهم الشيخ حسن يكرم البتول اكراماً خاصاً لاعتقاده انها خلّصت حياته في احدى المعارك. ثمّ في معركة اخرى كان الدروز قد اوشكوا ان يطوّقوا الثاولة فهرع هؤلاء الى سيدة ايليج ونذروا لها قطعة ارض فامتدّ فوقهم ضبابٌ كثيف واخفى اصحابهم (٢

• لكنْ ثورات الحماديين المتواصلة جرّت الى ايليج عساكر الاتراك والدروز بنزوع متواصل. ففي سنة ١٦٨٦ دُمّرت قرية ميفوق ونُهب دير البتول ودُكّت بعض جوانبه (٣ ولم تزل مع ذلك تلك الام معزية ومداوية وناشرة ألوية نعمها العجيبة. واما اليوم فقد سكنت الزوابع واستتبّ الأمن فنُقل الدير القديم الى مكانٍ آخر غربي سيدة ايليج يبعد عنها زهاء عشرين دقيقة وهو يتمتّع بحياة التقى والسكينة والخصب. لكن العذراء مكثت فوق حارسة الخرائب القديمة محافظةً على ماضي المكان المجيد الذي أُدخل في طي النسيان. فترى الى يومنا هناك منتزّة الثغر في صورتها حاملةً يسوع بين ذراعيها تكتنفها السلاسل الصغيرة والقلائد والتيجان وعجد النذور. وقد بُنيت

---

١) ان الجثث دُفنت في حفرة المعبد (المجمع اللبناني . . . الدويهي ١٩٦٠ . الدرّ المنظوم - الشدياق : أخبار لبنان قسم ٣ فصل ٥ و٢ - رتيتوس ص ٥٣٣

٢) من تاريخ لبنان المخطوط للاب رتيتوس

٣) الدويهي سنة ١٦٨٦ - الشدياق في المحل المذكور . - ولم يرمّم المعبد إلا سنة ١٧٦٦ كما جاء في الكتابة السريانية

جدران المعبد وكُتبت عليها مدائح عربية بخطّ ازرق ضخم (١

• ان هذا الاصلاح اعطاها هيئة الشبيبة والحياة التي يقف الطرف عندها حائراً. وخارج المعبد اخربة قديمة قد امتدّت اليها الاعشاب والدغل. ومـا فتئت حتى اليوم مزاراً يهرع اليه المؤمنون إمّا طلباً لنعمة من السيدة وإمّا شكراً لهـا. على نعمة نالوها لها

• ومن المعروف عند اباء الرهبانية اللبنانية ان هذه الكنيسة لم تزل كما كانت سنة ١٤٩٠ اذ عاش فيها بطاركة الموارنة ودُفنوا فيهم مع عدد وافر من الرهبان. فجدرانها ترشح بدموعهم وتردّدُ صدى صلواتهم. وكل عابر سبيل يدخلها خاشعاً. واهل الجوار يسرعون اليها لينذروا اولادهم فيها ويطلبوا نعم الخلاص من العذراء مريم. ولدى كلّ منافرة او خلاف يأتون فيحلفون امام السيدة. فهي بركة البلاد وينبوع الخيرات. ولا طبيب للفقراء غيرها. وهي ما تركت ولن تترك ذلك المكان

• ففي سنة ١٧٦٥ اراد رهبان دير ميفوق ان ينقلوا صورة مريم الى ديرهم فذهبوا الى معبد سيدة ايليج بخشوع وإخبات واخذوا الصورة وقفلوا الباب بالمفتاح وفي اليوم الثاني عادت الصورة من تلقاء ذاتها الى مكانها الاول

• وسنة ١٨٦٣ صعدت كتيبة تركيّة الى ميفوق متعقّبة يوسف بك كرم ظانّة انه هناك فبيّتت مفرزة منها كنيسةَ السيدة فربط جنديٌ جوادهُ بباب الكنيسة قصد اهانتها. وشرع آخر يشرب متكئاً على بارودته مجدّفاً على العذراء (٢ فالاول رفسهُ الجواد فسقط على قفاهُ. والثاني انفجرت بارودته فاصاب الرصاص رأسهُ فمات الاثنان في وقت واحد امام المعبد.

هذه هي النبذة المتطرفة التي كتبها عن دير سيدة ايليج حضرة الاب يوسف غودار اليسوعي في كتابه (القديسة العـذراء في لبنان) وقد استند في تاريخهـا الى روايات السمعاني والدويهي وطنوس الشدياق والبطريرك بولس مسعد الخ(٣ وقد حضر

١) داخل المعبد مسطّح بستة امتار طولاً وعشرة عرضاً. والخورس مؤلف من ثلاث حنايا صغيرة. واما الجدران فثخينة جداً ويظهر انها قد قاومت هجمات التدمير الكثيرة
٢) ان هذه الحوادث وكثيراً غيرها وُجدت مدونة في كتابات قديمة خطية
٣) طالع كتابهُ (La Sainte Vierge au Liban, page. 256-265)

بنفسهِ الى دير السيدة ونقل ترجمة الكتابتين المنقوشتين على جدران كنيستها كما رأيت في الحواشي . أمَّا الكتابة المحفورة فوق باب الكنيسة الغربي فقد نُشرت في تاريخ الطائفة المارونيَّة للدويهي (ص ١١٢ و١١٣) بغلط ظاهر وذلك انَّ الدويهي لمَّا اثبتها في تاريخهِ لم يتحقَّقها بنفسهِ او عثت عليهِ قراءتُها لعلوّها فقرأ ܡܥܡܘܕܝܬܐ بدلًا من ܒܥܡܘܪܐ فتشوَّش المعنى . وتبعهُ في هذه القراءة كلّ من نقل عنهُ حتى رنان في كتابهِ رحلة فينيقية(Mission de Phenicie, p. 254) . فهذا هو نصُّها الصحيح الذي انتبه اليهِ المرحوم القس اوغسطين الخوري القرطباوي الراهب اللبناني وكتب في ذلك رسالة ازال فيها كلّ شبهة . ودونك الكتابة مع تصحيحها :

ܒܫܡ ܐܠܗܐ ܚܝܐ ܠܥܠܡ . ܒܫܢܬ [illegible] [illegible]

[illegible]

اي « باسم الله الحي الدهر . في سنة الف وخمسمائة وثماني وثمانين لليونان بُني بنيان هذا دير والدة الله مريم لتكون ملاذا منا على ايدي الرجال الخطاة القس داود وبطرس ويوحنا »

والسنة اليونانيَّة ١٥٨٨ توافق السنة المسيحية ١٢٧٦ . وفي وسط الكتابة بعد كلمة « ܥܠܡ » نُقش صليب ✝ حوالهُ بالسريانية : « ܒܟ ܢܕܩܪ ܒܥܠܕܒܒܝܢ ܘܒܫܡܟ ܢܕܘܫ ܠܩܝܡܝܢ » اي « بك ننطح اعداءنا وباسمك نطأ مبغضينا » .

وكان الدويهي لقراءتهِ ܡܥܡܘܕܝܬܐ قد عزيها « قد كُمّل بعقوب هيكل والدة الله » واستنتج منها انَّ البطريرك يعقوب هو الذي شيد الهيكل . ويمكن دير سيدة ايليج لكنهُ بقي مرتاباً في شخصيَّة يعقوب (اطلب سلسلة البطاركة ص ٢٦) . وجاء ذكر البطريرك يعقوب في دير سيدة ايليج في كتابة اخرى محفورة فوق عتبة نافذة الكنيسة الشمالية وهذا نصُّها كما نقلهُ العلَّامة المطران يوسف الدبس (الجامع المفصَّل ص ٢٠١ والخوري مخائيل غبريل في تاريخ الكنيسة الانطاكية (٢ : ٢٠٧ ـ ٢٠٩)

ܒܫܡ ܐܠܗܐ ܚܝܐ [illegible]

[illegible]

[illegible]

اي باسم الله الحيّ الدائم . في سنة ١٧٦٦ جدَّد بناء هذا الهيكل أخوان كاهنان اموين ومثيلا وكان قد انشأهُ اربعة بطاركة بطرس وارميا ويعقوب ويوحنا سنة ١١٢١ م .

(لها بقية)

تحت المياه

١ الغوّاص ٢ دفائن البحر ٣ طرائق انتشالها

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعي

١ الغوّاص

اولاً : الغوّاص القديم

ان شركة المرفإ في بيروت اخذت تبني سوراً ضخماً يردّ عن اليابسة صدمات الموج ويحيط بالمتسع الذي اخذوا يطمّونه وهو لا يزال حوضاً لماء البحر . وعن قريب يصير ساحة تمدّ عليها السكة الحديدية شبكة خطوط محطة كبيرة مركزية لخط حيفا بيروت طرابلس

ويبنى ذلك السور باحجار ضخمة مكعّبة بجرم متين ترفعها آلة قوية تُدار على سفينة فتتحوّل تارةً الى الشاطئ لتتناول منه المكعبات وتارةً الى مكان البناء لتضع حملها الثقيل في عمق البحر ، حتى اذا تطبقت الاحجار بعضها فوق بعض ارتفع السور . ومن البديهي ان المكعبات الراسية في العمق يجب ان تكون راكزة على مسطح متساوٍ بسيط . فلذلك من قبل ان تُركز في قعر البحر يُنزلون فيه غوّاصاً ليُمهّد لها الموضع كما يُعدّ البنّاء المهدّ للدماليك الاساسية في اسفل البناء

وقفنا على الشاطئ نراقب اعمال الغوّاص وقد غار في جوف البحر وكدنا نفقد اثره لولا صلته بالزورق الطافي على سطح الماء . فان فيه اربعة رجال يشغلون آلة ضاغطة تدفع الهواء في انبوب طويل يمتد من الزورق الى خوذة الغواص ووجهه ليستنشق الهواء فلا يختنق . ومع الانبوب حبل احد اطرافه في يد معلم الزورق والآخر مشدود بوسط الغوّاص يستعين به على الخروج من الماء او على تبليغ اشاراته الى عمّال الزورق

وما كانت مدة وجيزة إلّا خرج الغواص وارتقى سلّماً منوطاً على الزورق. صعد وهو أشبه منه بحوتٍ غريب الشكل او بضفدعة عظيمة لا يكاد يتميّز رأسهُ من سائر بدنه ، لولا العينان الكبيرتان الزجاجيتان والخوذة النحاسية الكروية التي على اكتافه ؛ فهي تلتحم بثوب من المطاط يشمل الغواص من العنق الى القدم ولا يدع الماء ينفذ الى البدن

خرج الغواص من الماء. فتقدّم مُدير الزورق وفكّ الخوذة عن رأسه فانقطع المثال من ضغط الهواء. وكان على صدر الغواص وظهره قطع من الرصاص تمكنه من البقاء في العمق فنزعها منه وصعد على السفينة وخلع ثوبه المطاط وجلس يستريح

وشدّ ما كان تعبه مع كونه لم يبق في جوف البحر الّا دقائق معدودة وفي قعر غير بعيد عن سطح الماء. لكنّ ما قاساهُ من ثقل ذلك الحمل الضاغط على بدنه وعضلاته انهك قواه سريعاً فلم يستطع ان يلبث في الماء الّا مدة زهيدة

والسبب بديهي فان ابن آدم وهو على سطح الارض لا يحمل الا ضَغط الهواء المحيط به . وهذا الهواء مع ثقله الباهظ الموازي لثقل ماءٍ ود ماني طوله زهاء عشرة امتار ووزنه كيلوغرام واحد على كل سنتمتر مربع من بدنه — لا يؤذي الانسان المتعوّد عليه ومن دونه لا يحيا

اما الغواص فاذا غار في جوف المياه أحسّ ليس فقط بثقل ضغط الهواء المعتاد ولكن بثقل ضغط المياه ايضاً وكل متر منها يزيد حمل الانسان كيلوغراماً على كل سنتمتر مربع من مساحة جسمه . فاذا نزل الغواص ٥٠ متراً تحت الماء بلغ ثقل القوة الضاغطة زهاء ٥٠ كيلوغراماً واذا غاص ١٠٠ متر تضاعفت

وقد سعوا في تخفيف وطأة الضغط على العامل في العمق فجعلوا ثوبه المطاط عريضاً وبثّوا فيه الهواء بأنبوب يمتد من الزورق الى خوذة الغواص يتوزع منهـا بين بدنه ولباسه محافظةً على التوازن بين قوة المياه الضاغطة على العضلات وبين قوة الهواء المحبوس في ثوب الغواص المحيط بجسمه. لكن هذا الاحتياط لا يقي الانسان اذى وطأة المياه مع تزايد الانحدار في العمق . لان الغازات تذوب في المواد السيالة وفي الدم خاصة بكمية تزداد مع ازدياد الضغط. ولما كان الازوت الموجود في الهواء ضمن حلة الغواص مضغوطاً عليه ضغطاً شديداً لا يلبث ان يذوب في دمه . فاذا دنا

وقت الصعود من العمق الى سطح الماء ، وارتفع الغواص فجأةً طار غاز الازوت من دمه بشكل فقاقيع عديدة تزدحم عند المسامّ في الجلد والشرايين فتصيبه بالاذى في عينيه او في اذنيه او تذهب فجأة بحياته ، ولا بدّ من انقضاء اربعين دقيقة للصعود من عمق اربعين متراً ، وهذا هو الحد الذي لا يجاوزه ابن آدم في الشغل تحت الماء ، ولما كان اقوى الغواصين لا يبقون في غوصهم الّا مدةً ضيقة ذهب معظم تلك المدة بين النزول والصعود ولم يبق متسع من الزمان كافٍ للقيام باعمال شاقة تقتضي ساعات من الجهاد فضلاً عن ان ثوب الغواصين لا يقيهم شرّ الحيوانات البحرية الكبيرة .
ثمّ انّ اتصالهم بالزورق الذي فوق الماء بانبوب الهواء يعثّر حركتهم ويعرّض الانبوب الى القطع ، اذا لقي مجرى قوياً في ما بين المياه ، او يعلق بخشبة من الاخشاب الراسية

فلذلك أخذوا يستهدون الى طريقة يبلغ بها الغواص الاعماق العميقة من البحر وهو في مأمن من المخاطر التي ذكرناها واليك ما توصلوا اليه من الاختراع الحديث

ثانياً : الغواص الحديث

اهمّ ميزاته عن السابق عن انه اولاً غير مضغوط عليه بقوة المياه وهو ثانياً مستقلّ عن المركب الذي يغوص منه .

(١) صنعوا قمقماً معدنياً مخلوطاً بمزيج الالومينيوم ، غاية في المتانة والخفة ولين التحريك يقوى على احتمال ضغط المياه وهو مملوء من الماء ، وهيئته كهيئة الانسان المدوم الرأس او كهيئة [illegible] الضخم ، ذي رجلين وذراعين ، يدخله الانسان ويتصرف به بقواه الشخصية [illegible] اصحاب الدبابات الغواصة في سفائنهم ، لهذا القمقم اجهزة شتّى اهمّها [illegible] هواء المضغوط ضغطاً شديداً يستعمله الغواص اولاً لاستنشاق الاوكسيجين [illegible] تصفية الدم وثانياً لمعالجة حركات الصعود والنزول .
فاذا شاء الغوص فتح حاجزاً من حواجزه وملأه ماء فانحدر بثقله الى العمق المقصود .
واذا شاء الصعود طرد الماء [illegible] الداخل بقوة الهواء المضغوط فعام وارتفع . وليس من الصعود الفجائي خطر على صحة الغوص اذ هو في بيئة هوائية كالبيئة التي نحن فيها على وجه البسيطة بفضل القمقم الفاصل بينه وبين المياه والهواء المضغوط الذي يتصرف به احتساباً على قدر احتياجه

٢) وليست منافع الاختراع الحديث مقتصرةً على وقاية صحة الغواص بل هي تجعله مستقلاً عن المركب الذي يغوص منه حتى اذا انقطعت كل صلة بينه وبين الذين على سطح البحر استطاع ان يعلو بطرده ثقل الماء كما ذكرنا

وفي المقدَّم جهاز لتوليد النور الكهربائي وإضاءة ظلمات البحر الحالكة التي لا يشقها شعاع شمس اذا تجاوزت عمق عشرة امتار ‑ وفيه موازين لمعرفة درجة الحرارة والضغط والعمق ؛ ونافذة عليا زجاجية بثخن سمكها على ٧ سنتمترات يُشرف منها الغواص على جوف البحر ‑ وفي اطراف ذراعيه ، يدان اصطناعيتان ، يتصرف بهما للقبض على ادوات القطع او الفك كالكماشة والمقص ، ولتوجيه اللسان النادي الكهربائي ، الذي يصدره ، بواسطة مجرى يناله من المركب الفوقاني ، وهو متصل معه بالسلك التلفوني ؛ وبرجليه يستطيع السير في قعر المياه حتى اذا بلغ السفينة الغريقة عالج امرها اما لتعويمها واما لانتشال ما يكون دفيناً فيها من الكنوز

٢ دفائن البحر

دع الاسفنج وقد تكلم عنه المشرق (٥[١٩٠٢]:١٠٤٨) واللؤلؤ والمرجان وما يحدث للغواصين في سبيل انتشاله ‑ ولا تلمح الا بعبرة ، الى ما يذكره التاريخ عن الفينيقيين اجدادنا الاولين خواضي البحار وعن سفائنهم المثقلة صنوف الاذيفي ، والى ما جرى على ايام اليونان والرومان من مواقع بحرية ادت الى غرق اموال لا تحصى التهمتها افواه الموج ‑ دع عنا ذكر القديم من الحبائر التي ذهبت مثلاً ، مدة قرون ؛ كاسطول الارمادة الاسباني المتهشم على ساحل انكلترة برجاله وكنوزه (سنة ١٥٨٨) ؛ ومثلها جواري الاسبان الشهيرة المحملة بذهب العالم الحديث فانها كانت قطعت الاوقيانوس الوسيع وبلغت غاية سفرها في خليج فيغو الاسباني او كانت اذ دهمها الاسطول الانكليزي الهولندي وغرقها مع ذهبها سنة ١٧٠٧ ‑ تلك اخبار شأنها كالقدرة بالنسبة الى الجيل اذا قابلناها بما احدثته الزوابع والنكبات وخاصة الحرب الكبرى التي وارت جزءًا من ثروة الجنس البشري في عمق البحار

ان مبلغ ما كان يبتلعه البحر من المال بالقرب من سواحل انكلترة ما قبل الحرب كان زهاء ٢٥٠ مليوناً من الفرنكات فلا تسأل اذاً عن سائر الخسارات التي

كانت تحصل في المعمور من جراء الانواء والنكبات البحرية . اما الحرب العظمى فقد فتكت بأمهات السفائن فتكاً لا تكاد تتصور اضراره . فانهم يعدّون بخمسة عشر مليوناً طنّاً ما اغرقته الالغام والقنابل الناسفة من ١٩١٤ الى ١٩١٩ . ولما كان معدّل ثمن الطنّ البحري ثلاثة آلاف فرنك في غرة العام ١٩١٩ كان مبلغ ما سببته الحرب من الخسارات البحرية ٤٥ مليارًا من الفرنكات . وقد حدثت اغلب هذه النكبات في العام ١٩١٧ حيث كانوا يحسبون معدل الخسارات البحرية اليومية ٦٠ مليون فرنكاً . فالنافت في تلك الايام المشؤومة مئة ضعف على ما كانت عليه قبل الحرب بالقرب من الساحل الانكليزي

وكانوا منذ غرة القرن العشرين شرعوا في بلدان كثيرة وخاصة في انكلترة واميركا يبحثون في وسائط انتشال الكنوز من اعماق البحر . فلما نشبت نيران الحرب وغرق ما غرق من المراكب وما فيها زادت غيرة البحّاثين واجتهادهم لتخليص ما يمكن تخليصه

ومما استحثهم في هذا السبيل ليس فقط الامل بانتشال محتويات المراكب من اشياء ثمينة ولكن الطمع بالمراكب ذاتها ايضاً أملاً باصلاحها بعد سحبها من اعماق المياه واعادتها الى سابق توظيفها امّا للشحن او لنقل المسافرين . روت مجلة العالَمَين الافرنسية(١٩٢٩ص٦٦٠) ان مركبة المانيا يدعى « فالكور » (Walküre) اسره الافرنسيون ايام الحرب ثم أُغرق بالقرب من جزيرة « تاييتي » ورسب في عمق ٢٩ مترًا . فتقدم احد ارباب المعامل من سان فرنسيسكو وابتاع جثمان المركب الغريق وتوصّل الى سدّ ما حدث من الثلم والى رفعه على سطح الماء وتصليحه . فلما عاد المركب الى حالة تمكّنه من السفر كان قد كلف صاحبه مع مصروف التصليح ١،٤٢٥،٠٠٠ فرنك . لكنه لاول سفرة سافرها جاء بربح ١٨٠،٠٠٠ فرنك . ولم يلبث بعد زمن قليل أن بيع بمبلغ ٤،١٢٥،٠٠٠ فرنك . ولولا انتشاله من البحر لباتت تلك الارباح مدفونة معه . فته خذ لك مثلاً للمكاسب الحاصلة من العمل تحت المياه . ومن البديهي ان اعمال تخليص ما غرق في البحر لا تتمّ الّا بمساعدة الغواصين . على ان طرائقها شتى فعلينا ان نذكر بعضها

٣ طرائق انتشال دفائن البحر

انها لكثيرة. على اننا نستطيع ان نحصرها ضمن ثلاثة اقسام :

«الطرائق الاولى» هي ان يتقدموا في ساعات جَزْر البحر حيث تقل كمية المياه فوق المركب الغريق ويوقفوا على سطح الماء جسرين مجوفين قويين فينزل الغواصون في الماء ويشدون المركب الغريق بالجسرين شدّاً متيناً. فاذا انتهت ساعات جَزْر البحر واخذت مياهه تمد نحو الساحل كما يشهد ذلك في البحر الشمالي حرّكت قوة المياه الجسرين فتشالت من العمق المركب الغريق. حينئذ تتقدم سفينة تجارية وتسحب الجسرين وما تعلق بهما الى حوض ملآن ماء فيفرغونه ويعالجون ترميم المركب الغريق او اصلاحه وهم على اليابسة. وان لم يكن بالقرب من مكان العمل حوض يصلح لذلك جرّوا الجسرين الى الشاطئ وترقبوا ابتعاد مياه البحر مرةً اخرى بالجزر المتاد فيستطيعون بلوغ اربهم من اصلاح المركب الغريق

وهذا الاسلوب ادى مؤخرًا خدمات جلّة في ساحل سكاباافلو حيث رسب الاسطول الالماني مغرقًا منذ حزيران ١٩١٩

قد يذكر قراء المشرق ان الحلفاء لم يهادنوا الالمانيا عند انتهاء الحرب الّا على شرط ان تسلّم اسطولها ولا تبقي منه الّا ٦ مراكب مصفّحة صغيرة مبنية من قبل العام ١٩٠٥

في ٢١ تشرين الثاني تحرّكت عمارة الالمان الكبرى وعليها العَلم الالماني الامبراطوري وشقت عباب البحر الشمالي بين صفّين من مراكب الحلفاء الحربية وآمّت معتقلها في سكاباافلو، وهو الخليج الذي كان الانكليز يستودعونه اسطولهم الكبير

وكانت العمارة الالمانية مؤلفة من ١١ سفينة مصفحة حملها يتراوح بين ٢٤،٧٠٠ و٢٨،٤٠٠ طن، ومن ٥ سفائن سريعة القتال حملها بين ١٩،٤٠٠ و ٢٦،١٠٠ طن، ومن سفن ٥ غيرها خفيفة وخمسين نسافة ومركبين مصفحين كبيرين «بادن» و«بايرن» كان قد أُنجز تجهيزهما العام ١٩١٧ والمركب الجبار «هيندنبورغ» الحديث العهد وكثير من السفائن السريعة التي لم تشاهد بعد قتالًا

وما مضت على اعتقال الاسطول الالماني بضعة اشهر الّا وطيّرت الانباء البرقية

خبر غرقه في خليج سكابافلو من الثلاثة من البحارين الالمان العاقلين لحراسته وعدم مراقبة الانكليز

فاستاء البريطانيون لهذا الحادث الذي تم بارغم منهم واخذوا يجاهدون في سبيل انتشال الاسطول الالماني لئلا يتعثر به خليجهم ويشل مركزهم البحري العسكري .

ولكي ينالوا من بقاياه ما عسى ينفعهم من اجهزة تصلح للتركيب على سفائن جديدة او من صفائح معدنية وغيرها تعاد الى المعامل كمواد اولية وتخرج منها اجهزة جديدة

فاستعملوا جسرين كبيرين مسطحين مجوفين كل جسر طوله ٦٦ متراً بعرض ٢٦م ونصبوا عليها المجانيق والسلاسل الحديدية الضخمة وحكموا وضعها حيث ارادوا انتشال المراكب الغريقة . وكان الجسر تجاه الجسر يفرق بينها اخشاب ضخمة لئلا يتصادم الواحد بالآخر اذا اخذت المجانيق تشتغل عليها . فاخذ الغواصون يعالجون مد السلاسل تحت بدن السفينة والعمل على الجسرين بحركة متوحدة يشدون اطراف السلاسل بتحريك المجانيق . ولما مد البحر ماءه تحركت العمارة كلها حسب ما وصفنا فساروا بها الى حيث ارادوا

﴿الطريقة الثانية﴾ وربما رسب المركب الغريق في الماء بأقرب من الشاطئ بحيث لا مجال لسحبه بقوة الجسرين . فاخذوا يسلكون غير طريقة اجماله وهي ان بنوا في ذات الماء سوراً طوقوا به المركب حتى اصبح في شبه حوض فافرغوا الحوض من الماء واتوا على اصلاح المركب كما لو كانوا في المعمل . هكذا فعل الامريكان لفحص وانتشال المركب مين (Maine) الذي أغرق على شاطئ هافانا

﴿الطريقة الثالثة﴾ اما المراكب الراسبة في الاعماق العميقة فشأن انتشالها عسير جداً . في سبيلها يستعملون اجهزة الغواص الحديث التي ذكرناها

واعمال الغواص تتنوع طبقاً للظروف :

(١) فاما ان يُسد كل ثغر يؤدي بالماء الى جوف المركب الا ثغراً واحداً يركب عليه انبوب مضخة قوية تسحب الماء فيفرغ منها المركب الغريق فيخف وزنه بالنسبة الى وزن الماء الذي يشغل موضعه بحجمه فيطفو بقوته الذاتية على سطح المياه كما يطفو كل جسم اخف من الماء

(٢) واما ان يُقيَّد في صلب المركب الغريق صناديق قوية على احتمال ضغط

مظهر فيملأونها ماء ويغرقونها ثم يفرغونها فتحمل مع الجسرين اللذين يحركان المركب الغريق عند مدّ البحر

(٣) واما ان يتعذر اخراج السفينة فيشقّ الغواص جوفها بلسان اللهيب الكهاوي الذي ذكرناه ويلج فيها حيث الدفائن المقصودة فيربطها بحبل ملقي اليه من فوق البحر ويبلّغ ارادته بالتليفون الى المركب الراسي على السطح فوقه فيرفعونها

ذكرت مجلة «الأوستراسيون» (١٥ ايار ١٩٢٥) ان السفينة الانكليزية «إجيبت» وهي مسافرة الى بمبي في ايار ١٩٢٢ اصطدمت بسفينة «سين» وغرقت بستة وتسعين من ركابها ، عن بعد ٢٢ ميلاً من منارة أرمن (Armen) و ٢٦ ميلاً في جنوبي «اويسان» (Ouessant) بالقرب من ساحل فرنسة فرسبت في عمق ١٢٠ متراً وفيها ١٢٠٠ صندوق مملوء سبائك ذهب وفضة

فاخذت شركة انكليزية تسعى بتعيين موضع المركب الغريق لانه لا يتبع في غرقه خطاً عامودياً من سطح البحر الى الاسفل بل ينحل على المياه ويغور بعيداً حيث تدفعه الظروف كما يغور الصحن اذا القيته في حوض ويبتعد عن يدك منحرفاً عن الخط العامودي انحرافاً يناسب القوة التي دفعته والعمق المندفع اليه . فجعلوا يجرّون بالبحر اشباكاً ويديرونها دورة رحوية متدانية الحلقات حول المركز الذي كانوا يرجحون ان المركب قد رسب فيه . فعلقت الاشباك ببعض بقايا اخشاب مدهونة فحللوا لونها تحليلاً كيماوياً فتحققوا ان تلك البقايا هي من المركب «اجيبت» . فارسلوا ينتقي الغواصين حتى وجدوه وعيّنوا مركزه . ثم اخذت شركة افرنسية تسعى مع شركة اخرى المانية في انتشال صناديق الذهب والفضة منه لحساب الانكليز . ونزل الغواصون في الهياكل الحديدية التي ذكرناها وشقوا جوف السفينة الكبرى وانتشلوا دفائنها . وحدث ان احدهم انقطع السلك الكهربائي بينه وبين المركب الطائف على سطح الماء . فما كانت دقائق الّا صعد بذاته بقوة الهواء المضغوط

فترى ما اوجده العلم الحديث من الوسائط لاستخراج دفائن الاموال من اعماق البحار سبحان من ارشد الانسان الى مغالبة قوات الطبيعة وتسخيرها لمنافعه

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء المستشرقين من السنة ١٩٠٨ الى ١٩١٨

﴿ الفرنسويون ﴾ فقدوا في هذه العشر السنين عددًا معدودًا من ادبائهم المستشرقين. كان اولهم في الحقبة التي نحن بصددها المرحوم انطوتين غوغويي (Ant. Goguyer) الذي خدم وطنهُ زمنًا طويلًا في تونس ثمَّ في مدينة مسقط في خليج العجم وفيها حلَّت وفاتهُ في ١٦ ت ١ سنة ١٩٠٩. والمذكور تخصَّص بالعلوم الفقهيَّة الاسلاميَّة وكتب عدَّة تآليف في ابحاثها. واشتغل ايضًا باصول اللغة العربية ولهجاتها المختلفة في انحاء الشرق. ومكتبتنا الشرقيَّة تشكر له لطفهُ بما اوصى لها قبل وفاته من نفائس مكتبته

وفي العام التالي غرق في نهر ميكون في الصين الجنرال الفرنسوي اوجين دي بيليه (Eug. de Beylié) قلب به زورق في ١٥ تموز سنة ١٩١٠. كان مولدهُ في السنة ١٨٤٩ وأُولع منذ حداثته بدرس آثار الشرق لاسيا الهندسة. ومن تآليفه في ذلك كتابهُ المسمَّى «البيت البوزنطي» وصف فيه وصفًا مدقَّقًا كلَّ ما يوقف الباحثين عن ابنية البوزنطيين. وكان زار مكتبتنا الشرقيَّة ووجد في تصاوير مخطوطاتها ما أيَّد آراءهُ. وللمذكور فضلٌ في تعريف اصول الابنية الاسلاميَّة في الغرب وفي الاندلس

وفقدت الآداب الشرقيَّة في ١٠ أيار سنة ١٩١١ احد اساتذة جامعة فرنسة البارعين الكاثوليكي العامل روبانس دوڤال (Rubens Duval) ولد سنة ١٨٣٩ وكان متضلعًا من الآداب الشرقيَّة الساميَّة كالعربيَّة والسريانيَّة والعبرانيَّة. وممَّا نشره

في ذلك المعجم السرياني العربي لابن بهلول وفي معجم فرنساوي سرياني مطوَّل. وله كتاب نفيس في الآداب السريانية تكرَّرت طبعة اربع مرات لكثرة فوائده. وصنَّف تاريخ مدينة اذسّا (الرها) وبيَّن فضل السريان في درس الكيميا قبل العرب وابحاث اخرى مفيدة

وفي ٢٤ آذار من السنة ١٩١٢ توفي في باريس احد مشاهير الاثريين الشرقيين المرحوم فيليب برجه (Ph. Berger) تولَّى زمنًا نشر مجموعة الكتابات الساميَّة. وكان طويل الباع في هذه العلوم الكتابية. ومن تآليفه النفيسة كتابة في اصول الكتابة بين الشعوب القديمة. ونشر عدة آثار كتابية فرنيقية وبابلية وله ابحاث منشورة في شريعة حمورابي وفي احوال العرب قبل الاسلام استنادًا الى الكتابات والآثار المكتشفة هناك

وفي زمن الحرب توفي في كانون الثاني سنة ١٩١٥ املينو (E. Amélineau) الذي بعد دخوله في الكهنوت تخلَّى عن الدنيا. فارسلته الحكومة الفرنسويَّة الى مصر وتفرَّد لدرس آثار الاقباط وتاريخ أُسرهم وادبيّاتهم ورهبانهم القدماء وجغرافية بلادهم. ومن هذه الآثار ما هو بالعربية فنشره بترجمته وقد تطرَّف في بعض آرائه

واشهر منه بالعلوم الاثريَّة الشرقيَّة والتآليف الكتابيَّة الكاهن الجليل فرنسوا فيغورو (F. Vigouroux) من جماعة سان سولبيس كان من اساتذة المكتب الكاثوليكيّ في باريس فعلَّم العبرانيَّة ثم انكبَّ على درس الاسفار المقدَّسة وشرحها وبيان ما اظهرته حفريات مصر وبابل تأييدًا لتلك الاسفار. صنَّف في ذلك عدَّة مجلدات راج سوقها اي رواج. ثم باشر بنشر معجم كتابي في خمسة مجلدات ضخمة أودعه بمساعدة بعض علماء الكاثوليك خلاصة العلوم الكتابيَّة في كل الابحاث المختصة بالكتب المقدَّسة. وقد زار غير مرة بلاد فلسطين وسورية يبحث آثارها توفي في ٢١ شباط ١٩١٥

وفي العام ١٩١٦ في ١٠ ت ٢ استأثرت بمشاهير من علماء الشرقيات الركين ملكيور دي فوغويه (Melchior de Vogüé) الذي تجوَّل مرارًا في بلاد السورية والفلسطينية باحثًا عن آثارها الدينيَّة والمدنيَّة [illegible] وصفها ونشرها مع بعض علماء وطنه اخصُّهم السيو والدنتون. ومن تآليفه التي يرجع اليها محبّو الآثار الشرقية كتابة

في سوريّة المركزيّة حيث نشر عدداً وافراً من كتابات حوران وجبل الدروز وشرحها شرحاً مدقّقاً. وله رِحَلٌ وصف فيها بلادنا الشاميّة وآثارها. ومن مصنّفاته كتاب ضخم عن هيكل سليمان وكتاب آخر عن آثار الاراضي المقدّسة وكنائسها وبقي على نشاطهِ ودوام على التصنيف والتأليف الى آخر حياتهِ

وفي تموز من السنة عينها توفّى الله سيّدةً فاضلة مادام جان ديولافوا (Me J. Dieulafoy) . اقترنت بزواج المسيو ديولافوا فوجدت فيه رجلاً مقداماً محبّاً للسياحة والعلوم فارادت ان تجاريهُ في كلّ اعمالهِ. ولمّا استُدعي زوجها للحرب فرنسة السنة ١٨٧٠ لم تشأ ان تنفصل عنهُ وبقيت تخدم الجيش بقربهِ ثمّ تجشّمت معهُ الاسفار الى العراق والعجم متنكرةً بلبس الرجال وتولّت معهُ الحفريات الاثريّة ووصفت كلّ ذلك بقلمها السيّال في عدّة مجلّدات تهافت على مطالعتها اهل وطنها

ومن مشاهير المستشرقين الذين أسفت الآداب الشرقيّة على وفاتهم في ايّام الحرب في ٢١ ك ١ ١٩١٧ العالم الوسوي يوسف هالوي (J. Halévy) مولود ادرنه في السنة ١٨٢٧ ثمّ دخل فرنسة وتخرّج في العلوم الشرقيّة فاصبح احد اساطينها المدودين. وكان يتقن العبرانيّة والعربيّة والحبشيّة انتدبتهُ الحكومة الفرنساويّة لجمع الكتابات الحميريّة في جنوبي العرب فساح اليها وجاء بمجموعة كبيرة منها عُني بنشرها ثمّ عاد فطاف بلاد اليمن ودخل نجران وقدم الى الشام وسعى بتفسير كتابات الصفا فكان اوّل من كشف رموزها . وقد نشر في باريس مجلة الدروس اليهوديّة فادارها نيّفاً وثلثين سنة

وقبل نهاية الحرب بزمن قليل ودّع الحياة احد كبار المستشرقين الفرنسويين السير غستون مسبيرو (G. Maspero) الذي قضى نحو اربعين سنة في مصر صارفاً قواهُ في نشر آثارها ووصف تواريخها وآدابها وكشف اسرارها متوليّاً لكثير من حفريّاتها الغامضة فصنّف فيها المصنّفات المهمّة التي تدلّ على سعة معارفه بكل امور الشرق منها كتابهُ الجليل في تاريخ الشعوب الشرقيّة القديمة. توفي في ٣٠ حزيران ١٩١٨ . وكان سبقهُ الى القبر ابنهُ جان في ١٨ شباط سنة ١٩١٥ الذي كان يتأثر آثار والدهِ فنشر كتاباً حسناً في فقه قدماء المصريين . وقع في ساحة الشرف دفاعاً عن وطنهِ

وفي اثناء الحرب ايضاً مُنيت رسالتنا بوفاة ثلثة من عملتها الفرنسويين احدهم الاب فردريك بوڤيه «Fréd. Bouvier» كان سكن مدة سنين في كليتنا وعلّم فيها وفي ديرنا في غزير وألّف كتاباً مستطاباً مدقَّقاً في تاريخ سوريَّة من اوائل تاريخ الميلاد الى عهدنا طبعهُ على الحجر فلم يسمح لهُ الوقت بطبعهِ على الحروف اذ قُتل في ساحة الشرف في ١٨ ايلول ١٩١٦ وهو ساعٍ بخدمة الصرعى والجرحى. وكان الفقيد مضطلعاً بالتاريخ والفلسفة واللاهوت وانتقاد الاديان. ومن آثارهِ عدَّة ابحاث اعرب فيها عن حسن نظر من جملتها تاريخ سوريَّة في عهد بني طولون

وتبعهُ الى دار البقاء الاب دونا (عطاء الله) ڤرنيه (Donat Vernier) توفي في بيروت في مستشفى الراهبات الالمانيَّات في ١٧ أيار ١٩١٧ . ولد سنة ١٨٣٥ وقدم الى الشام سنة ١٨٦٠ فانكبَّ على درس العربية وفرائدها فانشر كتاباً مطوَّلاً في اصولها بالفرنسويَّة. ومن آثارهِ المطبوعة تأليفهُ في سيرة القديسة جان درك وتعريبهُ الكتاب الاقتداء بالمسيح. ولهُ عدَّة مخطوطات لغويَّة وادبيَّة في مكتبتنا الشرقيَّة

وقد أسفنا جدًّا في ٢ نيسان ١٩١٨ لوفاة احد مرسلي كليتنا الاب لويس رنزڤال (Louis Ronzevalle) مولود ادرنة سنة ١٨٧١ مابلة المنون في رومية ففقدنا به رجلاً متضلعاً بالآداب وكاتباً خليقاً متقناً لعدَّة لغات شرقية وغربية ذا ذكاء فريد متفنناً بالمعارف المختلفة في الفلسفة والموسيقى واصول اللغات لهُ في كل ذلك كتابات مستجادة في المشرق وفي المجلات الاوربية الشرقية (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقيَّة جديدة

Le Livre de Tous par le P. Berthier M. S., *Ed. nouvelle illustrée, Paris, Maison de la Bonne Presse, pp. 470. Prix 1 f.*

كتاب الجميع

نِعم الاسم فانَّ هذا الكتاب يستحقّ هذه التسمية بما اودعهُ مؤلفهُ احدُ مشاهير الكهنة الفرنسويين منشئ جمعيَّة مرسلي سيدة لاساليت المعروف بتآليفهِ التقويَّة.

فكتابهُ هذا في ثلثة اقسام و ١٩ فصلًا يتضمَّن خلاصة التعاليم المسيحيَّة ثم لباب واجبات الانسان نحو ربّهِ وقريبهِ ونفسهِ ثمَّ الوسائط المؤدية بالانسان الى خلاص نفسه وذلك بطريقة سهلة موثَّرة متينة تنفع وتلذ معاً. فتمنّينا لو يسعى احد كهنتنا بتعريبه ليستفيد منهُ المؤمنون في وطننا

Grammaire Copte avec Bibliographie, Chrestomathie et Vocabulaire par **Alexis Mallon S. J.**, 3e *éd.*, *in*-12, 1926, *pp. XVIII* + 325 *et* 192, *Beyrouth. Imprimerie Catholique*

غراماطيق قبطي

ما كنَّا نظنُّ ان هذا الغراماطيق يبلغ بوقت قليل طبعتهُ الثالثة مع قلة الدارسين للغة القبطيَّة. إلَّا انَّ المؤلف حضرة الاب مالون اليسوعي بوضعهِ هذا الكتاب على اسلوب قريب المنال واضح المباني قد حبَّبها لارباب الكليَّات واللاختصاصيين ولاسيما انهُ اضاف الى اصول تلك اللغة المفقودة كمدخل الآثار الهيروغليفية قائمةً واسعةً لاخصّ الكتب القبطيَّة ثمَّ مجموعاً منتخباً من النصوص القبطيَّة الكتابية والدينية والتاريخية والادبية وختمهُ بمعجم للالفاظ الواردة في تلك النصوص. وقد اعاد حضرة المؤلف النظر في هذه الطبعة الجديدة ليزيد كتابهُ دقَّةً وكمالًا ل. ش

Ninive u. Babylon von Carl. Bezold Monographien zur Weltgeschichte, n° 18, 4te *Auflage bearbeitet von Prof. Dr.* C. Franck, 1926, *Velhagen u. Klasing, Bielefeld u. Leipzig*

نينوى وبابل

كان هذا الكتاب بلغ السنة ١٩٠٩ طبعتهُ الثالثة. وهو من آثار الاستاذ الاختصاصي البارع المرحوم كرل بزولد مدير المجلَّة الاشوريَّة الالمانيَّة. واذ قد نفد هذا الكتاب لكثرة رواجهِ قام احد المستشرقين الدكتور فرنك فاعاد فيهِ النظر واضاف اليهِ كلَّ المعلومات المستفادة من الاكتشافات الجديدة التي جرت في خلال هذه الخمس والعشرين سنة فجاء الكتاب وافياً في ١٦٠ صفحة متقن الطبع موفَّر التصاوير البالغة ١٧٩ صورة فأصبح من اجلّ الكتب الباحثة عن نينوى وبابل وسائر آثارهما التاريخيَّة والادبية والفنيَّة ج. ل

Ehrenberg (Victor). NEUGRUENDER D. STAATES, Ein Beitrag z. Geschichte SPARTES U. ATHENS IM VI JAHRHUNDERT, 8°, 1925, München, C.H. Beck'sche Verlagsbuchhandlung

اساس الحكم في مدينتي سبرتا واثينا في القرن السادس قبل المسيح

كان مؤلف هذا الكتاب نشر سنة ١٩٢١ ابحاثاً في صورة الحقوق عند قدماء اليونان. فاراد ان يضيف الى تأليفهِ بحثاً آخر في اساس الحكم في مدينتي سبرتا واثينا في زمن عزّهما. وقد اتبع في كتابهِ هذا اقدم المؤلفين متحاشياً انتقاد الروسي نيتشه الذي زعم انّ الكتبة في تأليفهم عن اليونان يصوّرونهم كالشعوب الحديثة فيحيدون عن الحق. فأتى تأليفهُ وضعياً مبنيًّا على اصحّ الادلّة واثبتها بخصوص الاحكام الشرعية في تينك الحاضرتين

Théodore Reinach: LA MUSIQUE GRECQUE. 1 vol. in-16, n°s 49 et 50 de la *Collection Payot* avec de nombreux exemples musicaux et les restes notés de la musique grecque

الموسيقى اليونانية

كانت الموسيقى اليونانيّة القديمة الى القسم الثاني من القرن التاسع احد ألغاز التاريخ لا يكاد يحلّ رموزها كبار العلماء حتى نشر الاختصاصي جيفرت (F. A. Gevaert) سنة ١٨٨١ كتابهُ الجليل في الانغام اليونانيّة. على انّ تأليفهُ هذا اصبح اليوم ناقصاً لوفرة ما استخرج الاثريّون في هذه الحقبة من آثار اليونان الموسيقيّة كتابيح هيكل دلفي واغاني مدينة ترالي وآثار الشاعر اوريبيد على البردي . وكان لتيودور ريناخ فضلٌ في هذه الاكتشافات فلم يزل يعمل النظر فيها حتى اثبت اوزانها ومعانيها وتطبيقها على الموسيقى الحاضرة. وها هوذا اليوم قد جمع في كتاب مفرد كلّ ما يعرف عن هذه الموسيقى القديمة باحثاً ادقّ بحث في كلّ فصولها وابوابها وبذلك قرّبها الى العموم ليستفيدوا من خواصّها فنحمدهُ الشكر ل. ش

E. Baumann : Trois Villes Saintes Ars, S[t] JACQUES DE COMPOSTELLE ET LE MONT S[t] MICHEL, 1 *vol. de* 268 *pp., Ed. Publiroc, Marseille, Prix* 4 *f*, 75

المدن الثلث المقدّسة

ثلثة مزارات حجّ اليها مؤلف هذا الكتاب فوصفها وصفاً لطيفاً تاريخيًا ودينيا

وفنيًّا. المزار (الاوّل) في مدينة أرس التي اشتهر فيها ذاك الكاهن القديس خوري أرس يوحنّا فيانّاي الذي احيا في اواسط القرن التاسع عشر روح الدين في بعض جهات فرنسة بقداسة حياته وبمجانيه. المزار (الثاني) في اسبانيـة وهو هيكل القديس يعقوب الكبير في مدينة كمبستال الذي يتقاطر اليه السيّاح دون انقطاع منذ ١٥٠٠ سنة لوفرة نعمه. والمزار (الاخير) مزار القديس ميخائيل في جزيرة صغيرة عند خليج «منش» يُكرَّم فيـه رئيس الملائكة القديس ميخائيل منذ القرن الثامن بعد المسيح. وهذه المزارات شاهدٌ حيٌّ على نفوذ الدين الـذي لا يزال عميقاً في النفوس على الرغم من انوف الملحدين

ج. ل

Caskel (Werner): Das Schicksal in d. altarab. Poesie. *Morgenl. Texte u. Forschungen* I, 5. *Verlag v. Ed. Pfeiffer. Leipzig*, 1926, *Prix*. 7m 50

القضاء والقدر في الشعر العربي الجاهلي

هذا بحثٌ واسع خصّه مؤلفه بمعتقد عرب الجاهليّة في القضاء والقدر فجمع كلّ ما وجدهُ في دواوين شعراء الجاهليّة من هذا القبيل ودقّق فيه النظر ليستدلّ على ما كان العرب يفهمون به واضاف اليه الفاظاً اخرى كالدهر والزمان بحث عن معانيها الصحيحة فأتى بعمل يشهد لصاحبه بكثرة الاطّلاع والتحقيق كألوف من واطنيه الالمان

الاب ه. لامنس

Mérejkowsky (Dmitri): Le roman de Léonard de Vinci, la résurrection des Dieux. Traduction intégrale par **Dumenil de Gramont**. 3 vols in-12. *Collection des textes intégraux de la littérature russe., Ed. Bossard. Paris, Prix des 3 vols 27 fr*

رواية ليوناردو دي ڤنتشي

هذه الرواية كتبها مؤلف روسيّ وصف فيها النهضة الفنّيّة التي حدثت في اواخر القرن الخامس عشر حيث قام محبّو الآداب اليونانيّة القديمة فجدّدوا خرافات اليونان في تآليفهم وذلك منذ عهد ليوناردو دي ڤنتشي والمؤلف قد اتسع في ذلك اتساعاً مملًا في ثلثة مجلّدات نُقلت الى الافرنسية بتمامها دون فائدة كبيرة

ج. ل

Ananda-K Coomaraswamy : POUR COMPRENDRE L'ART HINDOU. Traduction de Jean Buhot, avec tableau chronologique, index, bibliographie, illustrations et dessins

وصف الفنون الهندية الجميلة

انّ للهنود طرائق فنيّة تمتاز عن بقيّة الشعوب ولا يدرك العموم معناها . فالمؤلف وهو هندي الاصل ناظرٌ على القسم الهندي من متحف مدينة بوسطن فوضع هـذا الكتاب بالانكليزيّة اودعهُ خلاصة ما يعرفهُ عن آثار الفنون الجميلة الهنديّة . وقـد قدّم على ذلك الوصف عدّة فصول لخّص فيها اعظم اطوار التاريخ الهندي والحقهـا بذكر مميّزات دين الهنود واصنامهم حتى انتهى الى بيان فنونهم الجميلة وشرح خواصّها مع قائمة الكتب التي استند اليها في عدد ١٥٠ كتاباً ومعجم للاعلام المـذكورة في الكتاب . فنشكر المسيو بوهوت لنقلهِ الى الفرنساويّة هذا الكتاب المفيد ل . ش

Rambert (Louis): NOTES ET IMPRESSIONS DE TURQUIE. L'empire ottoman sous Abdul-Hamid II (1895 - 1905). *Genève, Edit. Atar*, 1 *vol.*, 8°

الدولة العلية في عهد السلطان عبد الحميد

هذه مذكّرات لكاتب سويسري عُهدت اليهِ في تركية بصفة نائب رئيس او بصفة عضو ممتاز نظارة عدّة مشاريع اقتصاديّة كالسكك الحديديّة في سالونيك وازمير والاناضول وكالبنك العثماني وشركة حصر الدخان التي صار مديرها الاوّل من السنة ١٩٠٠ الى ١٩١٢ . ثمّ توفي سنة ١٩١٩ . وهذا الكتاب يحتوي القسم الاوّل من مذكّراتهِ من السنة ١٨٩٥ الى السنة ١٩٠٥ وفيهِ من الفوائد ما يشوّق الى النفوس مطالعتهُ ويرغّب في قرب نشر القسم الثاني منهُ ج . ل

PEUPLES ET NATIONS DES BALKANS par M. Jacques Ancel. 1 *vol. in-16*. 3 *Cartes, Collection Armand Colin*

شعوب البلقان وأُممها

البلقان بركان لم تكد تنطفئ نيرانهُ المتأجّجة فاذا خمـدت حيناً لا تلبث ان تنفجر بثورة فظيعة وما ذلك إلّا لموقع تلك البلاد في حدود اوربّة والشرق فاليهـا

تتشوّف مطامع الدول. وفيها من الشعوب ذوي العناصر المختلفة الاخلاق واللغات والمصالح التي باحتكاكها تبعث الخلاف والفتن. ومن المعلوم انّ ارباب الصلح بعد الحرب الكونيّة وزعماء عصابة الامم استدركوا الامر بوضع حدود جديدة لتلك البلاد وتنظيم عناصرها. ومؤلف هذا الكتاب يزعم انّ هذا الاصلاح من شأنهِ ان يمكّن دعائم السلام في تلك الجهات لموافقتهِ لتقاطيع اراضيها وتكوينها الطبيعي. فعسى ظنّهُ ان يتحقّق وهذا ما نتمنّاهُ دون الثقة بوقوعهِ

Notes on Akka and its defences under Ibrahim Pasha by Asad J. Rustum M. A. PH. D. on the American University of Beirut, in-8°, 1926, pp. 70

معلومات عن عكّا واستحكاماتها على عهد ابراهيم باشا

أولع صديقنا الاستاذ اسد افندي رستم بتاريخ محمّد علي وابنهِ ابرهيم باشا عند حملتهِ على سوريّة. وهذا اثر جديد من معلوماتهِ التي وقف عليها باجتهادهِ فضمّنهُ فوائد جمّة البعض منها لم يُنشر حتى الآن والبعض الآخر كاد يُمحى اثرهُ فاحياهُ بنشرهِ وازال شبهات القدمين بالمخطوطاتهِ المفيدة في مقدّمة رسالتهِ وفي ذيل منشوراتهِ. فجاء عملهُ شاهداً جليلاً على اجتهادهِ قدّرهُ ارباب المؤتمر الاثري الحديث في بيروت وفلسطين حقّ قدرهِ جازاهُ الله خيراً

La Rochefoucauld: Mémoires. Introduction et Notes du Cte Gab. de La Rochefoucauld. Avec portrait par Ouvré. 1 vol. in-12, 1926, Coll. des Chefs-d'œuvre Méconnus, Ed. Bossard. Prix 15 f.

مذكّرات لاروشفوكو

معلوم انّ فرنسوا دوق دي لاروشفوكو من كبار كتبة القرن السابع عشر الفرنسويين رصيف كورنيل وراسين ولافونتان. خلف عدّة تآليف من جملتها مذكّراتهُ عن الملكة حنّة النساويّة الذي يُعدّ من افضل التواريخ المدرسيّة تتكرّر طبعهُ وهذه الطبعة الجديدة تولّى نشرها احد احفادهِ غبريال دي لاروشفوكو فقدّم عليها مقدّمة حسنة وزيّنها بالمحفوظات استقاها من سجلّات عائلتهِ الشريفة فزاد بذلك نفعها

ل. ش

MILLE ET UN CONTES, RÉCITS ET LÉGENDES ARABES par René. Basset, *in-8°, T.II, Paris, Maisonneuve*, 1926

الف رواية ورواية : القسم الثاني

سبق لنا ذكر مؤلف هذا الكتاب الاستاذ المستشرق المأسوف عليه رينه باسه وفحوى كتابه الذي ضمّنه الف رواية ورواية من قصص العرب المبثوثة في كتبهم فتولّى ترجمتها الى الافرنسية وذيّلها بالحواشي المفيدة . وهذا القسم الثاني شبيه بشقيقه السابق بوفرة موادّه وهو يحتوي ٢٥٨ قصة تضاف الى ٢٢٩ رواية سابقة فيكون مجموع القسمين ٥١٤ رواية فيبقى ٤٨٧ قصة لتمام ١٠٠١ رواية . فلا شكّ انّ طلبة اللغة العربية في جامعات اوربّة سيقبلون على درس هذا التأليف فيرشدهم الى اساليب الكتابة عند العرب ل. ش

Henri-Robert: Les grands procès de l'histoire. I^{re} *Série, Paris, Payot*, 1926

الدعاوى التاريخية الشهيرة

هو الجزء السادس من كتاب شهير . وليست كلمة الدعاوى هنا بمعناها الحصري وانّما يراد بها المسائل التاريخية التي شغلت العقول في زمانها كمسألة الشاعر راسين ولادوبرك ومسألة دوشان دومان وولي العهد وبور رويال وغيرها . فلا شك انّ هذا الجزء سيفوز برواج اخوته السابقين ج. ل

الخليقة وتفهمها

بقلم امين الغريّب صاحب مجلّة الحارس

طُبع في مطبعة جان دارك في بيروت عام ١٩٢٦ ص ١١٩

وضع هذا الكتاب صاحبهُ كدليل يوقف القارئ على اجلّ واعجب محتويات الكون . فيتنقّل بنا في ممالك الطبيعة الثلاث مباشرًا بالمملكة المعدنيّة فيصف الافلاك وعجائبها ومسافاتها ثم يجتاز الى المملكة النباتية ويكشف اسرار حياتها واصلها

وتنوّعها وتسلسلها حتى يبلغ الى المملكة الحيوانيّة فيستقري طبقاتها من اسفلها الى ارقاها ويخصّ بالذكر الانسان سلطان الخليقة ثمّ يلخّص كتابهُ بكلمة في الترتيب العام ويستنتج منهُ وجود الخالق عزّ وجلّ. وفي خلال الكتاب ملحوظات شتى تزيد في فوائده وهو مكتوب بلغة منسجمة قريبة المنال فيجدر به ان يوضع في ايدي ناشئة الصفوف العليا فانهم يجدون فيه صدى او تعريب ما يقرأونه في كتبهم ف. ت

النبي لجبران خليل جبران

عرّبهُ من الانكليزيّة الارشمندريت انطونيوس بشير

طُبع في مصر سنة ١٩٢٦ ص ١٢٠ × ٢٥

كان «المجنون» آخر كتاب اتحف به قرّاءهُ جبران خليل جبران. وقد قلنا فيه (الشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٥٥٥) انهُ اوفق اسم اختاره لكتابه ودلّ به على رجاحة عقله. وها هو متبّعهُ بكتاب دعاهُ «النبيّ» فما عسى ان يكون هذا النبي الذي وسم نفسهُ بالمجنون. واقلّ ما يمكننا ان نقولهُ عنهُ انهُ نبيٌّ كاذب. فتراهُ في كتابه هذا يؤلّه الطبيعة ويبشّر الخلاعة تارةً مستورة وتارةً بكل وقاحتها ويودّ كجان جاك روسو ان يعيش الناس عيشة البهائم في البراري والقفار لا يستر جسمهم لباس. وقد دسّ في الكتاب تصاوير يستفظعها اهل سدوم وعمورة. والاعجب من كل ذلك ان ارشمندريتاً («ورثذكسياً» ؟) لم يستحي ان يعرّب كتابهُ ونعت بفريسيين الذين لم يستحسنوا ترّهات جبران الذي هو باقراره (ص ٣) كافرٌ على الاقل بظواهره. امّا الجوهر فانهُ يدلّ على الظاهر وحتى اليوم لم نجد اثرًا لهذا الجوهر الصالح المزعوم ل. ش

الى شبّان الجيل العشرين : كيف تصير رجلًا

تأليف بورسو : تعريب الاباتي افرام حنين الديراني المدبّر الحلبي اللبناني

طُبع في بيروت في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٦ (ص ٣١٩)

يسرّنا ان نعقّب هذا الكتاب بالتأليف السابق فانّ الاضداد يظهر حسنها

بمعارضتها باضدادها . فكما ان نتيجة مطالعة كتاب جبران أن يهبط بقارئه الى اسافل الشهوات البهيميّة فكتاب بورسو يرفع به الى اعالي الفضائل السامية التي بها يمتاز كبار الرجل بتعزيز الارادة والمعرفة والعمل والاعتقاد والمحبة وقهر النفس فيتمّ بها كمال الانسان: النفس السالمة في الجسم السالم . فنشكر حضرة الاباتي افرام حنين الديراني لتعريبه هذا الكتاب النافع فهو احسن ترياق لسمّ الكتاب السابق ل. ش

مقالة في مملكة آثور

بقلم غبطة السيد اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان الانطاكي

نُشرت هذه المقالة في مجلة الآثار الشرقيّة التي انشأها غبطة البطريرك المومأ اليه . فجعلها كتذكار لوطنه العراق اذ روى لاهله ما كان عليه أجدادهم الاثوريّون من الرفعة وعظم الشأن وقد استفاد من اكتشافات الاثريين في تلك البلاد التي تُعدّ كمهد البشريّة والتمدُّن فقرَّب اليهم معرفة تلك الكنوز الادبيّة التي بقيت مطمورة منذ آلاف السنين . فلغبطته جزيل الشكر على هذه الخدمة الممتازة

احمد زكي ابو شادي : عبده بك قصّة مصريّة اجتماعية

وقف على نشرها حسن صالح الجداوي

طبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٢٦ ص ١٠٨

قد راجت سوق الروايات الاجنبيّة في مصر فعُرِّب الالوف منها دون فائدة بل كثيراً ما تضرّ بآداب القرّاء . وقد اخذ بعض الكتبة يدرسون اخلاق وطنهم ليصوّروا حياة قومهم الاجتماعيّة . وعبده بك قصّةٌ من هذا الصنف صنّفها الاديب الشاعر الناثر احمد زكي ابو شادي ووضعها بشعر عصريّ ذي قوافٍ تختلف بعد كلّ بيتين فلا يسأم من تلاوته المطالع . وقد أُلحقت القصة بنقد وملاحظات وفصول شتى لبعض الادباء تزيدها فائدة ل. ش

هدايا أرسلت الى المشرق

1° G. Gabrieli: Lettere inedite di **Ippolito Rosellini** al Prof. Ab. C. Gazzera con un'Appendice sull'Egittologo Faentino **Fr. Salvolini**. *Estr. da «Aegyptus», VI, n. 2-3, 1925, Milano*

للعلماء الايطاليين فضل في تعزيز العلوم الهيروغليفية لاسيما الاستاذان هيبوليتو روزليني وفرنشسكو سلفوليني. فوجد لهما المستشرق الفاضل غبرييلي آثاراً تاريخية وكتابات ترتقي الى زمن شمبوليون مكتشف اللغة الهيروغليفية نشرها في مجلة «ايجيبتوس» تتويجاً بفضلهما

2° Ign. Kratchkowsky : Yûsuf al-Magribi et son Dictionnaire, *Bulletin de l'Académie des Sciences de l'URSS*

هي مقالة مفيدة لصديقنا الاستاذ المستشرق الروسي اغناطيوس كراتشكوفسكي وصف فيها نسخة مخطوطة مصونة في مكتبة بطرسبورج عنوانها دفع الاصر عن لغات اهل مصر لمؤلف اسلامي يُدعى يوسف المغربي ألفهُ سنة ١٠١٤ للهجرة وجعلهُ كمعجم لما دار على السنة الناس في مصر من الالفاظ والتراكيب نسقها على ترتيب الابجدية فشرحها . وفي المقالة امثلة حسنة منهُ

3° Les Peintures de la Grotte de Marina, près Tripoli par Ch. L. Brossé. *Extr. de la Revue Syria*, 1926

هي نبذة اثرية جميلة وصف فيها المؤلف المسيو بروسّه مغارةً قريبة من طرابلس تدعى بمغارة مارينا بالنسبة الى القديسة مارينا . وفي داخل هذه المغارة بقايا نقوش قديمة ملوّنة تمثل اشخاصاً بكبرهم الطبيعي وهيئة القديسين مع كتابات يونانية ولاتينية تشير الى قصة القديسة مارينا التي ترهبت متنكّرةً بزيّ الرجال فلم تُعرف إلّا بعد موتها بعد انْ اتّهموها زوراً بالفحشاء فأملنا ان تهتمّ الحكومة لهذا الاثر النفيس وتصونهُ من الاذى

4° The Syrian World, New York, n° 1, July, 1926

هي مجلة انكليزية لصاحبها سلّوم افندي المكرزل تختصُّ بالتاريخ والعلوم الشرقية ولاسيما بالامور السورية والعالم السوري . فيها مقالة حسنة لصديقنا الاستاذ الوطني فيليب حتي . فنسأل لها تقدماً طويلاً لوطننا العزيز في المهجر

٥° برنامج لجنة جمعية القديس منصور دي بول في دمشق عن السنة ١٩٢٥ . تأسست سنة ١٨٦٣ . بمطبعة القديس بولس في حريصا لبنان (ص ٦٣)

٦° مصحفنا ومعونة خدمة القداس السرياني . طبعت بالمطبعة السريانية في بيروت سنة ١٩٢٦ بالسرياني والعربي ص ٦٣

شذرات

← رثاة دبيثة ← شبت الثون في اواسط شهر حزيران باحد اصدقائنا الاديب ابرهيم مرالبان رجل الاستقامة والاجتهاد. كان منذ زمن مديد يعاطى الآثار القديمة فبلغ الى معرفة واسعة بها. وكان المرحوم ذا ثلن ودين غاب عن والدهِ قبل وفاتهِ ان يودع ضريحهُ صليباً عينتهُ له. ويسرّنا ان ننشر هذا الرثاء في صفحات المشرق ابقاء لذكرهِ وهو من قلم جناب المحامي نجيب افندي خالف شاكرين لهُ هذه الآثرة الحسنة

جدّدي الحزن والشاح القديما نفسُ وأرثي الصديق ابراهيما
وانثي الصدرَ من زفير وتُوحٍ فتسيلُ النواح بشأنِ الكلوما
والعلّ الزفير وهو بجمارٍ من هيولي ينيسلُ دمعاً سجيما
فيُطفئي من نار حزني عليه ويُروّي قبر الحبيب الكريما
حيث جثّانهُ احلّ حقيرا فيه ينيل الفسادُ منا الجسوما
ثم تمسي الجسوم ترباً فمشاً فحطباً ثم الحطيمُ هشيما

...

لهفَ نفسي أذي غاية حيّ طاول الشمسَ فكرهُ والنجوما
وبعقلٍ فاق البرايا سناءً كشفَ الغيبُ فطنةً والرجوما
طار فوق الرياح دون جناحين وماس في الساحقات الغيوما
ودرى جوهرَ الامور وجلّى من قوى الكون سرّها المكتوما
هذه الكهربا اكتشافُ يديه وبها صيّر الجحيمَ نعيما

...

لهفَ نفسي ان كان هذاه موتاً فناءه فكان كوناً عتيها
اين ذرّات فكره على تفرّق كهباء تصير بعدُ سديما
ام تُذيب الذرّ الحرارةُ صهراً ثم يمي ذاك الهباء معدوما

...

قيل انّا تحيا نتيجة نظم من التئامِ الذرّي القديما
ان هذا التمثل في الهيولي ما ناجياً فأروتا من الهيولى حلوما
ابتدوتا وفسّروا كيف كنّا قبل ان تلتقِ الهيولى هموما
والدانا قد اولدانا وكن والدانا من اين حيكا اديما
قبلَ اصل الدهور وهي ملايين صدود من قوم التقويما
ثم من بعدُ مذ الوف سنين من تراه قد عدّل الاقليما

والنواميس البرية من انشا ... ومن ذا الذي يرا بالاقنوما
يدرك الكون والطبيعة كنهاً ... وهي لم تدر بَتَّة معلوما

هب نشوءًا من قبلنا وارتقاءً ... حيث مرنا علمٌ يفوق المثوما
فتجاري في العلم اصحاب علم ... فليقولوا أنّى يرى المثل شيا (١
ثم كيف المظلوم وهو اداة ... يخلق الروح وهو فاق النظيا
انما الروح قد براهُ الهُ ... كان فوق الطبيعة القيّوما
فهو روح افاض في الناس روحاً ... فتعالى ربّاً بديعاً حكيما
ظاهراتٌ آياته في سماءٍ ... وبأرض والخلائق سيا
شاهدات بانكبه كلُّ شيءٍ ... منشدات بحمده ترنيما
كه ربي لم يدره غير روحٍ ... جاء منه وكان ربي العليا
وبهذا وحيُ الاله تجلّى ... ناطقًا مُلهم النبيّ الكليا
وتلاه من النبيين جمٌّ ... والهي آتاهمُ التعليا

فعلامَ الانسان ينكر ربًّا ... فيضاهي في ما يضاهي اليهيا ؟
وعلامَ الانسان يجحدُ وحياً ... وبوجدانه الدليل اتيا ؟
ان وجدانه لبرهان روحٍ ... فيه وافت من العلاء قدوما
برهن المنطقُ الصحيح عليها ... وهو ينفي المخبَّل الموهوما
فترى الروح طابعاً اثر الله ... فينا فنبيك تقرا رقيما
انت ومم الاله بالروح تحيا ... انت نور ولكن جسمك موما (٢

وبدا الله بالمسيح ظهورًا ... جار فيه الورى ظهورًا عظيما
أيدته اياتهُ فرأينا ... هُ ينطق يحيي العظام الرميا
وانار المؤبد مذ كان سرًّا ... ابدًا وفكلك المختوما
وفدى الناس ظافرًا بتوبن ... وانال الورى البقا المستديا

يا حبيبي ونعم انت حبيباً ... وحبيبي ونعم انت حميا
يا صديقي أقم بدار خلود ... حيث لا حزن لا اسى لا هموما
وهنيئاً المؤمن ذي تقاة ... طاب فعلًا وطاب قلباً سليما
وتقبّل من الاله ثواباً ... وتربّع في حضن ابراهيما

﴿ المؤتمر القرباني في شيكاغو ﴾ تواردت علينا الجرائد والمجلّات تصف هـذا المؤتمر الغريب الذي عُقد في شيكاغو في ٢٠ الى ٢٤ حزيران الماضي · فيتّضح منها انّ ما جرى في شيكاغو لم يجر له مثيل في تاريخ الدين الكاثوليكي الى يومنا وكفى به دليلًا لدحض كلّ ما يتشدّق به الملحدون عن تلاشي الدين بل هو اوضح برهان

---

١) خط ٢) الموم الشمع امرية ذوباني

على انّ الدين لا يزال له المقام الاول في العالم. فعلى الرغم مما سعى اليه اهل تلك الحاضرة لإعداد اللوازم لذلك الموسم العظيم بواسطة اللجان العديدة المعيَّنة منذ سنتين. فأُنشئت السكك الحديديّة وفُتحت الطرق الجديدة وشُيّدت المنازل الفسيحة والساحات الواسعة والنوادي الرحبة الارجاء. ولكن ما كل هذا لمليونين من الزوَّار المتقاطرين من كلّ البلاد. في مقدَّمتهم ١٢ كردينالًا وثلثة قصاد رسوليين و٥٢ رئيس اساقفة و٢٥٧ اسقفًا والوف من علية الاكليروسيين العالمي والقانوني مع ٤٠٠ مصوِّر او ممثل جرائد. فانّ القدَّاس الافتتاحي حضرهُ ٢٥٠،٠٠٠ نسمة اذ لم يمكن دخول اكثر منهم في الساحة الكبرى المعروفة بساحة غرنت. وقام بخدمة القدَّاس واغانيه الطقسيّة جوقة من الاحداث بلغت ٦٢،٠٠٠ ولد اذ كان الكردينال بونزانو ممثل الحبر الاعظم يقدّم الذبيحة على هيكل علوّهُ ١٠ مترًا. واذ وعظ للحضور كانت ١٥ آلة مضخّمة للاصوات تسمع صوتهُ لكافّة الحضور حتى لأبعدهم مسافةً. وما القول عن كلّ الرتب التي احتفلوا بها في تلك المدّة اذ تحتاج كل رتبة الى صفحات عديدة ليوصف القليل من شعائرها. وكذا قل عن الجلسات الدينيّة التي خُصّ بها كل فريق من الرجال من النساء. من الدارسين من الاحداث لكلّ لغة ناديها ولكل بلدٍ مقامهُ وكان للسوريين نادٍ خاصّ وكذلك لغيرهم من الشرقيين. وخلاصة القول انّ هذا المؤتمر بيّن للعالم ما للكنيسة الكاثوليكية من المنزلة بين كلّ شعوب الارض والاديان المختلفة بوحدة ايمانها ووحدة نظامها ووحدة قلوب ابنائها

«تحفة كتابيّة» عرض جناب الشيخ الدرزي الخطّاط في معرض الزراعة حبّة رزّ كتب عليها بخطهِ الدقيق فاتحة القرآن وخطاب ابي بكر الصدّيق يوم خلافتهِ فابتاعها مدير المكتبة الخديويّة بمئة ليرة مصريّة وكلّ يعلم انّ في مكتبة بيروت اللبنانيّة طرفة مثل هذه. وانّا نأسف على العيون التي تشتغل بمثل هذه الفضوليّات ومن الممكن اليوم ان يُصنع مثلها بواسطة التصوير الشمسي

«سنة لورد الدينيّة» بلغ عدد زوّار لورد الذين اقبلوا لاكرام ‹زائرها› ٣٨٤،٠٠٠ شخصاً قصدوها في قطارات السكك الحديدية. هذا دون الذين اتوها ماشين على الاقدام او راكبين العجلات والسيارات والاوتوموبيلات. وكان من جملة الزوّار خمسة كرادلة وبطريركان و٢٠٦ رؤساء اساقفة واساقفة. ونُقل اليها ١١،١٧٥ مريضاً

شُفي منهم عدد كبير أعلن منهم ١١٥ مريضاً اسماءهم على الواح الرخام المرصوصة على جدران كنيسة لورد

﴿بيوس الحادي عشر والبعثات العلميَّة﴾ وكل الحبر الاعظم الى اربعة من المرسلين بان يباشروا على نفقته سياحات علميَّة الى اربعة بلاد فارس الى جزيرة ماليزيا الاب شبستا (P. Schebesta) لمراقبة قبيلة من الزعانف. وارسل الى الارض المعروفة بارض النار الابوين غوسِند وكوبرس (Gusinde et Koppers) للبحث عن قبيلة هناك تُدعى فُواج وبعث الاب شوما (Schuma) الى بلاد رُواند والاب كوسترس (Kosters) الى البوشيان. وبذلك يتضح كيف الكنيسة الكاثوليكيَّة تعرف ان تجمع بين الدين والعلم

﴿اول اسقف صينيّ كاثوليكي﴾ اقام الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر نائباً رسوليًا على مقاطعة هوان هوانو الصينيَّة السيد فيليب تشاو وهو اوَّل اسقف صينيّ الاصل تعيَّن في وطنهِ لهذه الرتبة السامية

﴿بين باريس والبصرة﴾ قطع الاخوان الطيَّارات الفرنسويَّان ارشار (Arra-chart) المسافة الواقعة بين باريس والبصرة وهي تبلغ ٢٤٠، ١ كيلومترًا بست وعشرين ساعة ونصف بشوط واحد ففازوا بقصبة السباق على كل الطيَّارين. ومن المعلوم انَّ المسافة بين عاصمة فرنسة وخليج العجم لا يستطيع ان يقطعها المسافرون اليوم بأقل من احد عشر يوماً مها اتَّخذوا من اسباب التنقل من مراكب وسكك حديديَّة واوتوموبيلات على انَّ البرق افادنا بعد ذلك في تاريخ ١٨ تموز ان الفرنسويَّين الكبيتان جيريه والليوتنان بورديله قطعا المسافة بين باريس ومدينة اومسك في سيبرية شوطاً واحدًا وهذه المسافة تبلغ ٤٧٠ كيلومترًا فتفوّقا بذلك على الطيَّارين ارشار

﴿احتفال تذكاري﴾ اقامة نخبة من ادباء بيروت في مساء يوم الاثنين الواقع في ٢٦ تموز الماضي فانشادوا نظماً ونثراً في ثلث لغاتٍ بذكر المحسن العظيم كلفلند ضودج والد جناب رئيس الجامعة الاميركانيَّة المتوفَّى في نيورك في ٢٤ حزيران . فكان لهذه المأثرة احسن وقع في قلوب الحاضرين الذين عرفوا الفقيد وقدَّروا اعماله المبرورة وقاموا بواجب الاعتراف بالجميل اليهِ والى نجله الفضال

أسئلة وأجوبة

س سألنا غير واحد ما هي اللغة الارامية وما الفرق بينها وبين اللغة السريانية وما هي اقدم آثارها ؟

اللغة الارامية واقدم آثارها

ج اللغة الارامية نسبةً الى ارام خامس ابناء سام بن نوح هي احد الاقسام الكبيرة من اللغات السامية التي اتسعت اتساعاً عظيماً فتكلم بها الشعوب الممتدة بين العراق الى بحر الشام وتغلبت على العبرانيّة وعلى الاشوريّة. والاراميّة تشمل عدةَ لهجات منها الاراميّة اليهوديّة التي شاعت بين اليهود في جلاء بابل وبها كُتبت اسفار عزرا ونحميا وطوبيا ودانيال. ومنها اللغة الاراميةالفلسطينيّة التي شاعت في ايام السيد المسيح وبها تكلم هو نفسه وبها كتب انجيل القديس متى . ومنها اللغة النبطيّة التي شاعت بين النبط ومن كتابتها اشتُقت الكتابة العربية. ومنها خصوصاً اللغة السريانية التي نبغت في مدينة الرها ثمّ في نصيبين وانقسمت الى (سريانيّة غربية) انتشرت في ما بين النهرين وسوريّة وهي لغة طقس السريان واليعاقبة والموارنة(وسريانية شرقيّة) اي كلدانيّة لغة العراق وطقس الكلدان . امّا اقدم ما يعرف من الآثار الاراميّة فالكتابات التي وُجدت في اليفنتين وفي اسوان الراقية الى القرن الخامس قبل المسيح. وفي المشرق في سنتيه ١٩٠٧و١٩٠٨ عدة مقالات ممتعة لحضرة الاب سبستيان رونزفال في وصفها مع تصوير كتابتها

س وسأل من بسكنتا احد افاضل الرهبان « متى يأتي بالحصر الزمن المعروف بصدر الاسلام» لانهُ وجد في ذلك اختلافاً بين الكتبة

الزمن المعروف بصدر الاسلام

ج صدر الاسلام كلمة عموميّة تدلُّ على اوائل الاسلام لم يثبت لها قدماء الكتبة حدوداً معلومة فمنهم من يحصرها في زمن نبي الاسلام والخليفتين الاوَّلين ابي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب. والارجح انَّ هذه العبارة تتناول زمن الخلفاء الراشدين الى آخر عهد عليّ بن ابي طالب

ل. ش